

**محنة بني أمية (الشام)
في العصر العباسي الأول ١٣٢ - ٢٣٢ هـ**

إعداد

**الدكتور / مهدي نايف مصطفى الدعجة
أستاذ مساعد - كلية الآداب - قسم الدراسات الاجتماعية
جامعة الملك فيصل بالاحساء**

محنة بني أمية (الشام) في العصر العباسي الأول ١٣٢ - ٢٢٢ هـ

إعداد

الدكتور / مهند نايف مصطفى الدعجة

أستاذ مساعد - كلية الآداب - قسم الدراسات الاجتماعية
جامعة الملك فيصل بالإحساء

الملخص باللغة العربية:

تأتي أهمية هذه الدراسة في محاولة جادة لبيان رد فعل بني أمية على محنة وفاجعة سقوط دولتهم التي ما فتئوا ينعمون بخيراتها وبارثتها السياسي الطويل ، لقد كانت محنة سعو جاهدين ويحذوهم الامل في إعادة حقهم وبشئى الوسائل والسبل ، ولذلك ركزت على إظهار آلية السقوط وعظمته في نفوسهم، وما ترتب عليه من قتل وصلب وتعذيب ، ثم ما تبع ذلك من محاولات للانتفاض على الحكم العباسي وبكافة السبل من قيام حركات وتمردات ضد الخلافة او حتى تأييد حركة معارضة ، ولقد اقتنع بني أمية أخيراً أن لامندوحة أمامهم لحكم المشرق، من جديد . ولأهمية هذا الموضوع وتفاوت الروايات حوله حاولت جاهداً أن أجمع أدق الروايات وأكثرها حياداً آملاً في إظهار الحقيقة التاريخية.

الكلمات المفتاحية (الامويون في العصر العباسي ، سقوط الدولة الاموية)

والله ولي التوفيق.

د/ مهند الدعجة

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً وبعد:

فإن الكتابة في التاريخ الأموي ليست بالسهلة ، ولعل الصعوبات التي تعترض المشتغلين بالتاريخ الأموي تتساوى والدواعي الى الاهتمام به، فقد جاءت عناية المسلمين في كتابة التاريخ الأموي متاخرة قليلاً عن عصرهم ، فلم تجر في اجواء من الحيادي اللازم والموضوعية المطلوبة ، ناهيك عن أن قيام الدولة الأموية ولد بساح القتال وزال بساح القتال ، ولم تهناأ أيامه منذ القيام وحتى السقوط بالهدوء التام ، فقد شهد عصر الدولة الأموية غير مرة معارك كادت تؤدي بزوال الدولة الأموية ، في ظل هذه الاوضاع كان من شأن الاطراف المتخاصمة ان تتناول بللسان تتاول بعضها باللسان فتتشأ الر وايات المتضاربة والصفات المتناقضة والالوان المتبدلة ، خاصة وأن اغلب ما وصلنا عن التاريخ الأموي هو من تدوين العصر العباسي .

وعلى ذلك فان الحديث عن ما يسمى الربيع العربي اليوم لهو شبيه النظر والفكر لبني أمية في أعقاب زوال ملكهم ، فقد فجعوا بالسقوط ، وكأنه حلم لم يصدقوه، فكافحوا مرارا وتكرارا لاستعادة أمجادهم وملكهم في الحكم والخلافة، وهذا الطموح اتخذ جوانب متعددة كالثورة المباشرة، أودعم موقف معاد للعباسيين ، او تأييد ثائر عليهم ، املا في استعادة تلك الامجاد، فلقد مثل سقوط عاصمتهم دمشق حدا فاصلا بين مانعوا به من رخاء اقتصادي ونفوذ سياسي ، وازداد الأمر سوء عندما رأو بأمر أعينهم التعذيب والصلب والقتل فلاذ منهم فرارا ما استطاعوا الى ذلك سبيلا.

لذلك حاولت في هذا البحث أن اعرض لتلك التحركات التي نظرت اليها الأمويون بعين الأمل لإستعادة ماضيهم ، تلك الحركات التي جعلتهم في النهاية يدركون أن المحنة المت بهم ، وأن الحلم الذي يرغبون لن يتحقق.

لقد استعنت بعدد من المصادر والمراجع وحاولت اظهار الدور الذي يجول في خاطر بني أمية، في الوقت الذي تعرضو فيه لكثير من المآسي والاحزان ، وقد حددت

مجال الدراسة بأموي المشرق وأعني بهم الشام ، وتحديدًا زمنيًا بالعصر العباسي الأول.

سقوط الدولة الأموية:

شهدت الدولة الأموية العديد من الإضطرابات والفتن التي لعبت الدور البارز في تسريع عجلة السقوط والإنهيار . فقد مثل زوال سلطان بني أمية محنة لم يتوقعها الأمويون بعد حكم وخلافة نعموا بها لفترة طويلة من الزمن . روى ابن عبد البر : " سئل رجل من بني أمية، فقيل له: اخبرنا عن أول شيء كان بدء زوال ملككم، فقال: تشاغلنا عن تفقد ما كان نفقده يلزمنا، ووثقنا بوزراء آثروا مرافقهم على منافعنا، وأبرموا أموراً أسروها عنا، فظلمت رعيتنا، ففسدت نياتهم لنا، وجذب معاشنا فخلت بيوت أموالنا، وقل جندنا، فزالت هيبتنا، واستدعاهم أعداؤنا علينا، وكان أكثر الأسباب في ذلك استتار الأخبار عنا"^(١).

فرغم اعتلاء بني أمية دست الخلافة لحوالي ٩٢ عاماً (٤١-١٣٢هـ) إلا أن الصراع السياسي على الحكم بين افراد الاسرة الاموية قد عجل بسقوط خلافتهم، فالفرع السفيناني بعد وفاة معاوية بن يزيد بن معاوية ٦٤هـ زال ملكهم وانتقل الى الفرع المرواني الذي بدأ ب مروان بن الحكم وانتهى بمروان بن محمد وسقوط الدولة الاموية .

وفي الوقت الذي اندلع فيه الصراع داخل الأسرة المروانية ظهرت الرايات السود بقيادة أبي مسلم الخراساني، وسارت الدولة الأموية إلى الزوال في أعقاب هزيمة

١- ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبد البر النميري القرطبي، (٣٦٨ - ٤٦٣هـ / ٩٧٨م) : بهجة المجالس وأنس المجالس وشذذ الذاهن والهاجس، تحقيق محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، مج ١، ق ١، ص ٣٥١. المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ٢٤١. الثعالبي (عبد العزيز): سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية، تحقيق حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط ١، ١٩٩٥م، ص ٤١-٥١. المراكشي، البيان المغرب، ج ٢، ص ٣٩-٤٠. خريسات، العصبية القبلية، ص ٥٢٩-٥٦٠.

مروان بن محمد ومقتله في موقعة الزاب^(١) ١٣٢هـ / ٧٤٩م^(٢)، وبذلك انتهت حقبة حكم الدولة الأموية وقامت الدولة العباسية^(٣).

ويمكن ملاحظة حالة الفوضى والضعف والتفرق والانقسام التي عاشتها الدولة الأموية من خلال الكتاب الذي بعث به نصر بن سيار عامل مروان على خراسان، عندما أحس أن أمور العباسيين قد قويت وبدأوا بسحب البساط من تحت أقدامه، وقد حاول من خلال هذا الكتاب أن ينبه مروان إلى ذلك الخطر الجسيم في خراسان وإلى القوة التي بلغها والتي عجز نصر نفسه عن التصدي له، وقد أطلق نصر كلماته معتبراً أن الأمويين نيام ولعل هذه الكلمات توقظهم قبل فوات الأوان. حيث قال^(٤):

أرى خلل الرماد وميض نار ويوشك أن يكون لها ضرام
فإن النار بالعودين تذكى وأن الشر نتيجته الكلام
أقول من التعجب ليت شعري أيقاظ أم نيام

وقد مثل رد مروان بن محمد على مدى الضعف الذي انتشر في الدولة الأموية، حيث وكل لنصر الأمور ومنحه التصرف فيها بما يراه مناسباً، متعذراً أنه ليس لديه ما عنده ليقدمه له^(٥).

(١) الزاب: أحد روافد نهر دجلة، يجري في أراضي العراق. الحموي، معجم البلدان، مج ٣، ص ١٢٣.

(٢) لمزيد من التفاصيل انظر: الطبري، تاريخ، ج ٧، ص ٤٣٢ وما بعدها. القضاعي، عيون المعارف، ص ١٨٤. المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٣٠١ - ٣٠٨. ابن الطقطقي، الفخري، ص ١٣٥ - ١٤٧. الذهبي، العبر، ج ١، ص ١٣٤.

(٣) انظر: علبى (أحمد): العهد السري للدعوة العباسية أو من الأمويين إلى العباسيين، مكتبة الفارابي، بيروت، ١٩٨٧م، ص ٦٥ - ١٠٦.

(٤) انظر خليفة: تاريخ، ص ٣٩٦؛ ابن قتيبة: الإمامة، ج ٢، ص ١١٥؛ ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج ١، ص ١٢٨؛ الطبري: تاريخ، ج ٧، ص ٣٦٩؛ المسعودي: مروج، ج ٤، ص ٧٩؛ المقدسي: البدء، ج ٦، ص ٦٣؛ الأربلي: خلاصة الذهب، ص ٤٩؛ أبو الفداء: المختصر، ج ١، ص ٢٠٨.

(٥) انظر خليفة: تاريخ، ص ٣٩٦؛ ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ج ٢، ص ١١٥؛ ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج ١، ص ١٢٨؛ الطبري: تاريخ، ج ٧، ص ٣٦٩؛ المسعودي: مروج، ج ٤، ص ٧٩؛ المقدسي: البدء والتاريخ، ج ٦، ص ٦٣؛ الأربلي: خلاصة الذهب، ص ٤٩؛ أبو الفداء: المختصر، ج ١، ص ٢٠٨.

ويظهر أن إعلان أبو مسلم الثورة العباسية قد خفف من حدة الصراع بين نصر والكرماني^(١)، وحاولا توحيد جهودهما لمقاومة الثورة العباسية، وحتى يضمن نصر عدم حدوث أي انشقاق بعث إلى الكرماني من قام بقتله^(٢)، وبدلاً من أن يؤدي هذا العمل لتوحيد الجهود كما أراد نصر، فقد أدى إلى وقوف اليمانية إلى جانب العباسيين^(٣)، وهذا بالطبع ساعد العباسيين في تحقيق الانتصارات السهلة على قوات نصر، ثم السيطرة على خراسان بكاملها في أعقاب انتصارها على الجيوش التي بعث بها ابن هبيرة عامل العراق وهي جيش نباته بن حنظلة ١٣٠هـ / ٧٤٨م^(٤)، وجيش عامر بن ضبارة ١٣١هـ / ٧٤٩م^(٥). مما يحوي بزيادة الضعف والفتل الأموي في مواجهة التحديات في الوقت الذي تمزق فيه صفهم، وتفرقت وحدتهم وكلمتهم.

موقعة الزاب:

نجحت الثورة العباسية بقيادة أبو مسلم الخراساني وخلال وقت قصير في تحقق انتصارات كبيرة في خراسان، حيث سيطرت على خراسان رغم المقاومة التي بذلها عرب خراسان وأهل الشام في بعض المناطق مثل جرجان ونهاوند^{(٦)(٧)}، إلا أن ذلك لم يكن ليمنع المد العباسي القادم.

فبعد سيطرة الجيش العباسي على خراسان اتجه صوب العراق بقيادة قحطبة بن شبيب الطائي حيث حدثت مواجهات كبيرة بين أعوان الأمويين وأهل الشام من جهة

(١) الكرماني هو جديع بن علي بن شبيب وعرف بالكرماني نسبة إلى البلد الذي ولد فيه وكان رأس الازد وسيدهم وقد عزله نصر عدة مرات عن رئاسة الازد وحصل تباعد بينهم . انظر البطاينة ، محمد ، دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين ، دار الفرقان ، الاردن ، ط ١ ، ١٩٩٩م ، ص ٣٧٧.

(٢) الدينوري: الأخبار، ص ٣٦٢؛ الطبري: تاريخ ج ٧ ص ٣٦٧-٣٦٨.

(٣) الطبري: تاريخ، ج ٧ ص ٣٩١.

(٤) الطبري: تاريخ، ج ٧ ص ٣٩١.

(٥) خليفة: تاريخ، ص ٣٩٦.

(٦) جرجان: مدينة عظيمة مشهورة بين طبرستان وخراسان، ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ١١٩؛

نهاد: مدينة عظيمة قبله همدان بمنطقة الجبل؛ ياقوت: معجم البلدان، ج ٥ ص ٣١٣.

(٧) ابن قتيبة: المعارف، ص ٣٧٠.

والقوات العباسية من جهة ثانية، واستمرت تلك المواجهات لوقت متأخر حتى بعد سقوط الدولة الأموية^(١)، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على أن بني أمية قد دافعوا عن دولتهم دفاعاً مستميتاً، ولكن يظهر أن الوقت قد فات ولم يعد يسعفهم، ثم دخلت القوات العباسية مدينة الكوفة، وهناك أعلن قادتُها قيام الخلافة العباسية في الكوفة وتنصيب أبي العباس عبد الله بن محمد بن علي العباسي المعروف بالسفّاح^(٢) خليفة للمسلمين ١٣٢هـ - ١٣٦هـ / ٧٤٩ - ٧٥٤م، وهو الذي أوصى له أخوه إبراهيم الإمام^(٣) بالخلافة من بعده عندما ألقى مروان بن محمد القبض عليه^(٤).

وبعد مبايعة أبي العباس بالخلافة، كان عليه أن يجهز جيشاً لقتال مروان بن محمد، وقام بتجهيز ذلك الجيش، وقد حرص كل الحرص أن تكون قيادته عباسية، حيث جعل عمه عبد الله بن علي قائداً لذلك الجيش^(٥)، وسار الجيش العباسي بقيادة عبدالله بن علي عم الخليفة أبو العباس تجاه مروان بن محمد في الشام، وكان مروان في مئة وخمسين ألفاً من أهل الشام والجزيرة، وحشدت معه بنو أمية بأنفسهم وأتباعهم وقد سار مروان حتى الزاب الأعلى دون الموصل، وسار عبد الله بن علي تجاه مروان، فالتقى الفريقان صبيحة الحادي عشر من جمادي الآخرة سنة ١٣٢هـ / ٧٤٩م، فانهزم مروان؛ ولم يزل عبد الله يطارد فلول قوائمه حتى أخرجه إلى الجزيرة، فجاءها مروان وأخذ ببيوت الأموال والكنوز فيها، ثم خرج قاصداً دمشق^(٦).

(١) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ج ٢ ص ١٢٥؛ ابن أعم: الفتوح، ج ٨ ص ٢٠٢.

(٢) وهو لقب أطلقه المؤرخون المحدثون على الخليفة العباسي الأول عبد الله بن محمد. انظر فاروق عمر: بحوث، ص ٢٠١-٢٠٦.

(٣) وهو إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن عباس، قتل ١٣١هـ / ٧٤٩م؛ انظر خليفة: تاريخ، ص ٣٨٤؛ البلاذري: أنساب، قسم ٣ ص ١١٤-١٤٧؛ الطبري: تاريخ، ج ٧ ص ٤٣٥.

(٤) خليفة: تاريخ، ص ٣٩٩-٤٠٠؛ مجهول: أخبار الدولة العباسية، ص ٣٦٣-٣٦٤.

(٥) البلاذري: أنساب، ج ٣ ص ١٠٣؛ الطبري: تاريخ، ج ٧ ص ٥٠١-٥٠٢؛ الذهبي: سير، ج ٦ ص ١٦١-١٦٢.

(٦) خليفة: تاريخ، قسم ٢ ص ٦١١؛ ابن أعم: الفتوح، ج ٧ ص ٣٣٣؛ اليعقوبي: تاريخ، ج ٢ ص ٣٤٥-٣٤٦.

واستمر عبد الله بن علي بملاحقة مروان، ويظهر أن حالة عامة من السخط ضد مروان كانت قد عمت في أغلب مدن الشام، وذلك واضح من خلال الموقف الذي وقفه أهل الشام من مروان بن محمد بعد هزيمته في الزاب. فلم يكن مروان يمر بمدينة من مدن الشام إلا قام أهل تلك المدينة باعتراض جيشه ونهبه، أو إغلاق المدينة دونه، حتى حرّان^(١) التي اختارها لتكون مركزاً لكرسي الخلافة^(٢)، وكذلك الحال بالنسبة لأهل حمص ودمشق التي كان مروان ينوي أن يتحصن فيها، ولكن أهل دمشق نهبوه، ووثبت عليه القيسية التي كان من المفترض أن تقف إلى جانبه^(٣)، ولما انتصر عبد الله بن علي على مروان بن محمد، كتب إلى أبي العباس بالفتح وهروب مروان، وأنه قد حوى عسكره بما فيه، فلما وصل الخبر إلى أبي العباس كانت فرحته غامرة لا توصف، فصلى ركعتين، واعتبر هذا النصر أهم من فتح دمشق نفسها، ويظهر ذلك من خلال أمره لمن شهد الواقعة بخمسائة درهم ورفع أرزاقهم إلى الثمانين^(٤).

ولكن معركة الزاب لم تضع حداً لنضال الامويين، بل ثار كثير من انصارهم في بقايا مدن الشام^(٥).

سقوط العاصمة دمشق:

لما فرغ عبد الله بن علي من الزاب سار قاصداً دمشق، وفي طريقه دخل حمص، وهناك وافاه أخوه عبد الصمد بن علي في عشرة آلاف من أهل خراسان وغيرهم، فاتصل الخبر بمروان، فخرج عن دمشق، وخلف عليها عامله الوليد بن

(١) حرّان: وهي مدينة عظيمة مشهورة من جزيرة أقور، وهي قصبة ديار مضر، وهي على طريق الموصل والشام والروم. ياقوت: معجم البلدان، ج ٢ ص ٢٣٥.

(٢) انظر البلاذري: أنساب، ج ٣ ص ١٠٣-١٠٤.

(٣) خليفة: تاريخ، ص ٦١١؛ البلاذري: أنساب، ج ٣ ص ١٠٣-١٠٤؛ اليعقوبي: تاريخ، ج ٢ ص ٣٤٥؛ الطبري: تاريخ، ج ٧ ص ٤٣٤؛ ابن العراني: الأنباء، ص ٥٢.

(٤) الطبري: تاريخ، ج ٧ ص ٤٣٤-٤٣٥؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٥ ص ٤١٨-٤٢١.

(٥) (الدوري، عبدالعزيز، العصر العباسي الأول دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٩م، ص ٦٧).

معاوية، فحصنها ونصب المجانيق^(١) والعرادات^(٢) والخطارات^(٣) على أبرجة السور، وأعد فيها الميرة والعلوفة والسلاح الكثير وتوثق من كل شيء يريد^(٤)، أما عبد الله بن علي فاستمر في مسيره حتى وصل دمشق، فنزل مزنة (إحدى قرى الغوطة) وهناك قدم عليه أخوه صالح بن علي مدداً فنزل مرج عذرا في ثمانية آلاف^(٥).

وبعد أن تكاملت صفوف الجيش العباسي، زحف عبد الله بن علي قاصداً دمشق، فلما وصلها تقسم الجيش إلى فئات نزل كل منها على باب، فنزل عبد الله بن علي الباب الشرقي، ونزل صالح بن علي على باب الجابية، وعبد الصمد بن علي ويحيى بن صفوان والعباس بن يزيد على باب الفراديس، وحמיד بن قحطبة على باب ثوما، وحاصرت العساكر دمشق من مختلف جهاتها^(٦)، واستمر عبد الله بن علي محاصراً دمشق من مختلف الجهات، وفي كل لحظة كان يلح على المحاصرين ويحثهم على المناجزة لعل ذلك يساهم في سرعة إسقاط المدينة والتي استمر حصارها مايزيد عن شهراً ونصف شهر^(٧)، الى أن انتهى الامر بسقوط دمشق، فدخلها الجيش العباسي عنوة يوم الأربعاء الخامس من رمضان سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م^(٨)، وكان أول من صعد

(١) المجانيق: جنجيق بمعنى الميزان، وهو آلة ترمى بها الأشياء فتبمد. وكان يستخدم لتقذف الحجارة الضخمة لهدم الأسوار، انظر ابن منظور: لسان، مادة قذف ج ١١ ص ٧٥.

(٢) العرادات: جمع عرادة وهي شبه المنجنيق صغيرة؛ ابن منظور: لسان، مادة عرد ج ٩ ص ١٢٣.

(٣) الخطارات: جمع خطارة وهي نوع من الأسلحة التي تقذف بها الحجارة الصغيرة (المقلع)؛ ابن منظور: لسان ج ٤ (خطر) ص ١٣٧.

(٤) البلاذري: أنساب، ج ٣ ص ١٠٣-١٠٤؛ الطبري: تاريخ، ج ٧ ص ٤٤٠؛ المسعودي: مروج، ج ٣ ص ٢٧٢؛ ابن عساكر: تاريخ، ج ٣٧ ص ٤٢٤؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٥ ص ٤٢٦.

(٥) الطبري: تاريخ، ج ٧ ص ٤٤٠؛ ابن أعمش: الفتوح، ج ٧ ص ٣٣٤؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٥ ص ٤٢٥-٤٢٦.

(٦) الطبري: تاريخ، ج ٧ ص ٤٤٠؛ ابن أعمش: الفتوح، ج ٧ ص ٣٣٤؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٥ ص ٤٢٥-٤٢٦.

(٧) ابن عساكر: تاريخ، ج ٣٧ ص ٤٢٣-٤٢٤، وذكر رواية أخرى ان الحصار استمر مئة يوم، وروايه ثالثة أنه استمر خمسة أشهر.

(٨) خليفة: تاريخ، ص ٦١١؛ الطبري: تاريخ، ج ٧ ص ٤٤٠؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٥ ص ٤٢٥.

السور من الجانب الشرقي عبد الله الطائي ومن باب الصغير بسام بن إبراهيم، ثم استمر القتال فقتل الوليد بن معاوية فيمن قتل^(١).

ولا بد من القول أن فترة الحصار حتى وإن كانت شهراً ونصف شهر على أقل الروايات، فهي تدل على أن المدينة كانت محصنة تحصيناً جيداً عجز العباسيون عن اقتحامه، ويدل على ذلك ما نراه اليوم من بقايا القصور الأموية في دمشق، وحصانيتها ومنعتها، وعلاوة على ذلك فهي تحوي من الطعام الكثير الذي يكفي للحصار^(٢).

ويظهر أن تبديل مروان بن محمد لمقر إقامته من دمشق واتخاذ حراً مركزاً للخلافة قد غير كثيراً من الأمور، فأهل دمشق قيسهم ويمنهم لم يكونوا راضين عن ذلك العمل الذي قام به مروان، وكانوا يأملون أن تبقى دمشق مقراً للحكم، وهذا ربما يفسر التأييد الذي لاقته الثورة التي قام بها سليمان بن هشام والتي قضى عليها مروان بعنف^(٣).

والأمر الآخر الذي لا بد من أخذه بعين الاعتبار، كعامل أساس سهل من مهمة الجيوش العباسية المحاصرة لدمشق في إسقاطها هو: نشوب العصبية داخل المدينة من جديد بين القيسية واليمانية وبلوغها ذروتها، حيث وصل الأمر إلى الحد الذي أصبح معه كل طرف مستعد للتحالف مع أي طرف ثالث للإطاحة بخصمه والقضاء عليه وهذا ما تم بالفعل^(٤)، فقد تعصب الناس في المدينة في فضل كل منهما على الآخر ووثب بعضهم إلى بعض وجعلوا يقتتلون، عصبية لبني العباس وعصبية لبني أمية، فكانت الغالبة سيوف بني العباس، الذين وثبوا على عامل دمشق - الوليد بن معاوية - وقتلوه، وفتحت الأبواب كلها، فدخل عبد الله بن علي^(٥).

(١) الطبري: تاريخ، ج ٧ ص ٤٤٠؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٥ ص ٤٢٥-٤٢٦.

(٢) ابن عساکر: تاريخ، ج ٣٧ ص ٤٢٥.

(٣) الطبري: تاريخ، ج ٧ ص ٣٢٥؛ مجهول: الميوس، ج ٣ ص ١٥٨.

(٤) الطبري: تاريخ، ج ٧ ص ٤٤٠؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٥ ص ٤٢٥-٤٢٦.

(٥) الطبري: تاريخ، ج ٧ ص ٤٤٠؛ ابن أعثم: الفتوح، ج ٧ ص ٣٣٤؛ المسعودي: مروج ج ٣ ص ٢٧٢؛ ابن عساکر: تاريخ، ج ٣٧، ص ٤٢٤.

وقد صرَّح عبد الله بن علي بالدور الذي قام به اليمانيون في تسهيل مهمة العباسيين لأخذ دمشق، عندما خاطبهم خلال ذهابه لقمع ثورة حبيب بن مرة المري، بقوله: "...إنكم وأخوتكم ربعة كنتم بخراسان شيعتنا وأنصارنا، وأنتم دفعتم إلينا مدينة دمشق....." (١).

ووصف رجل من أهل خراسان حضر حصار دمشق مع عبد الله بن علي شكل الحصار، وماذا دار خلاله؟ وما حدث من خلاف بين سكان المدينة ساهم في التقاعس عن القتال لجانب مروان... حيث ذكر... أن أعداد المحاصرين كانوا قليلاً مقارنة مع أعداد جيش عبد الله بن علي ومع ذلك كانوا صامدين (٢). وذكر أن شيئاً غربياً قد حدث خلال الحصار فاجأ جيش عبد الله نفسه، حيث قام مَنْ في الداخل ببناء منارة، وأحس جيش عبد الله أن أمراً ما موجه إليهم فإذا هذا الأمر جاء لصالحهم (٣)، فقد صعد المنارة رجل صيَّت (٤) ونادى بأعلى صوته مخذلاً أهل دمشق عن مساعدة مروان بن محمد أو القتال معه، وكان يذكرهم بما فعل بهم مروان بن محمد من أفعال سيئة فيما سبق، وقتله لبعض زعمائهم وتعذيبه لآخرين، فكان لما قال أثر كبير في نكوص فئة غير قليلة وتراجعها بعد أن كانت في أول الصفوف (٥)، ولم يكتف المُنَادِي بذلك؛ بل صار ينادي بأهل كل مدينة سذكراً إياهم بما فعل بهم مروان من قتل أو تشريد أو حبس فيفعلون ما فعل مَنْ قبلهم وأشد (٦).

ولم يقف الأمر عند ذلك فقد اختلف الناس في دمشق وعادوا للمشاحنة والعصبية من جديد، وبلغ من شدة اختلافهم أن كرهوا بعضهم بعضاً، إلى الحد الذي

(١) الأزدى: تاريخ الموصل، ص ١٤٤، وانظر فاروق عمر: بحوث، ص ٥٠-٥١.

(٢) ابن عساكر: تاريخ، ج ٣٧ ص ٤٢٥.

(٣) ابن عساكر: تاريخ، ج ٣٧ ص ٤٢٤.

(٤) صيَّت - شديد الصوت عاليه، ابن منظور: لسان العرب، ج ٥ ص ٤٣٥.

(٥) ابن عساكر: تاريخ، ج ٣٧ ص ٤٢٤.

(٦) ابن عساكر: تاريخ، ج ٣٧ ص ٤٢٤.

جعلهم يتلاعنون في المسجد، وأقاموا في المسجد منبرين، وجمعتين بإمامين^(١). وكان يصلي هؤلاء بإمام وخطبة وهؤلاء بإمام وخطبة، ثم حثهم شيخ خطب بهم على الألفة بدل الفرقة والخصام^(٢).

وفي ظل اشتداد الحصار على دمشق من الخارج، وغياب وحدة الصف الدمشقي، ونزوح أهل دمشق إلى التشرذم والخلاف كان لا بد من موقف يتخذه أهل دمشق، الذين قرروا طلب الأمان من عبد الله بن علي، وقد استعانوا بيحيى بن بحر الغساني وألحوا عليه أن يطلب لهم الأمان من عبد الله بن علي، فخرج إلى عبد الله وسأله الأمان، فأجابته عبد الله بن علي لطلبه، فدخل فنادى في الناس الأمان، فأجابته خلق كثير، ثم طلب منه يحيى أن يكتب في ذلك كتاباً، فلما طلب عبد الله بن علي دواة ليكتب الأمان، نظر فرأى السور قد غشيته المسوَّدة فقال له: لقد دخلتها قسراً. فقال يحيى: لا والله ولكن غدرأ... فغضب منه عبد الله. ولكنه ما لبث أن سامحه، لمودته لآل البيت، ثم كافأه بأن منح كل من يدخله بيته الأمان، فتزاحم الناس إلى بيته والبيوت التي تليه^(٣).

النهب والتدمير و الصلب والقتل الذي رافق السقوط:

استمر العباسيون في عمليات النهب والقتل أثناء دخولهم إلى بلاد الشام، وقد شملت أعمالهم مختلف مناطق الشام، فقد قيل: أن عبد الله بن علي لما دخل دمشق أخذ الوليد بن معاوية بن مروان وعبد الله بن عبد الجبار بن يزيد بن مروان فبعث بهما إلى أبي العباس فصلبهما^(٤)، في حين ذكر البلاذري أن عبد الله بن علي قتل الوليد بن معاوية بعد دخوله دمشق، وهدم سور المدينة^(٥)، وذكر المقدسي: ان عبد الله بن علي

(١) الطبري: تاريخ، ج ٧ ص ٤٤٠؛ ابن عساكر: تاريخ، ج ٣٧ ص ٤٢٥؛ ابن كثير: البداية، ج ١٠ ص ٤٥.

(٢) ابن عساكر: تاريخ، ج ٣٧ ص ٤٢٥.

(٣) انظر اليعقوبي: تاريخ، ج ٢ ص ٣٥٦؛ الذهبي: تاريخ، حوادث ١٢١-١٤٠هـ، ص ٣٣٩.

(٤) خليفة، تاريخ: ص ٦١١.

(٥) البلاذري، أنساب: ج ٣ ص ١٠٣-١٠٤.

بعد دخوله لدمشق قتل مَنْ بها من بني أمية، وهدم سورها حجراً حجراً^(١). وأمر بعد بوضع السيف في أهلها، وأباح القتل فيها ثلاث ساعات^(٢).

وصور ابن عساكر ما رافق دخول العباسيين لدمشق من مجازر بقوله: "أن أصحاب عبد الله بن علي لم يزلوا يجزون الرؤوس في الطرق والمنازل ويأخذون الأموال، حتى أمر عبد الله بن علي بإيقاف النهب ورفع السيف^(٣)، وكان من بين القتلى الوليد بن معاوية بن مروان عامل مروان بن محمد على دمشق^(٤).

معاقبة النساء:

ولم تسلم النساء من بطش العباسيين، فقد روى: أن عبد الله بن علي لما صار إلى الشام، خطب عبدة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية، فأبّت عليه التزويج، فأمر بها فبقر بطنها، فكان المنصور كلما ذكر فعله بها لعنه^(٥)، ودفع عبد الله بن علي بامرأة هشام بن عبد الملك إلى قوم من الخراسانية، فسيروها حافية حاسرة في البرية ثم قتلوها^(٦)، ولما دخل عبد الله بن علي الخضراء، جلس مع ابنة مروان بن محمد على فراشها فأحزألت^(٧) عنه حتى ألقت على نفسها الجدار، فقال لها: يا بنت مروان: أين ابن الصناجة- يعني زوجها الوليد بن معاوية- فقالت له: الرجال أعلم بالرجال^(٨).

وعم القتل والنهب والبطش العباسي في دمشق حتى شمل العلماء والفقهاء، حيث قتل عبد الله بن علي مجموعة منهم يونس بن ميسرة بن حليس- المقرئ

(١) المقدسي، البدء: ج ١ ص ٢٧٥.

(٢) خليفة: تاريخ، قسم ٢ ص ٦١١-٦١٢؛ الطبري: تاريخ، ج ٧ ص ٤٤٠؛ الذهبي: سير، ج ٦ ص ٥٧؛

ابن الوردي: تاريخ، ج ١ ص ١٩١، المطبعة الوهيمية؛ كرد علي: خطط الشام، ج ١ ص ١٧٣.

(٣) الطبري، تاريخ، ج ٨ ص ٢٥٨.

(٤) الذهبي: سير، ج ٦ ص ٥٧؛ الصفي: تحفة، ص ١٩٥.

(٥) البلاذري، أنساب: ج ٣ ص ٢٠١.

(٦) ابن كثير: البداية، ج ١٠ ص ٤٥.

(٧) حزا الإبل ونحوها حزاء: جمعها وساقها واحزوزاً الطائر: ضم جناحيه وتجافى عن بيضه، لسان

العرب: ابن منظور، مادة حزا، ج ٣ ص ١٤٧.

(٨) ابن عساكر: تاريخ، ج ٣ ص ٢٦٧.

الضرير - وكان وقت مقتله يصلي في المسجد^(١) كما قتل مسهر بن عبد الأعلى - والد أبي مسهر الغساني فقيه الشام - في داره^(٢) وعلاوة على ذلك فقد قتل خلق كثير من النصارى واليهود من أهل دمشق^(٣).

نبش القبور:

ولم يسلم الأمويون الأموات من نبش القبور، فقد قام عبد الله بن علي بنبش قبور بني أمية وإحراقهم، وإحراق عظامهم بالنار، فلما حفر قبر معاوية لم يجد فيه إلا خطأ واحداً أسوداً كأنه رماد... ولم يجد في قبر يزيد إلا فقارة ظهره فأحرقها^(٤)، وقيل أن عبد الله بن علي عهد إلى عمرو بن تمام في نبش قبور بني أمية^(٥).

ويظهر أن ما قام به عبد الله بن علي لم يشبع رغبته بالانتقام، بل كان يسعى لأكثر من ذلك، وتظهر هذه الرغبة من خلال النقاش الذي جرى بينه وبين أحد حاشيته، الذي وصف له ما جرى من فضائع وأهوال وقتل في دمشق، فرد عليه عبد الله بن علي "هذا والله جهد البلاء"^(٦)، وقل عبد الله بن علي مما حدث بقوله: "ما هذا وشرطة الحجام إلا سواء"^(٧). استخفافاً ذلك المصاب .

ويبدو أن دوافع عبد الله لهذا الانتقام هو دافع القائد الذي يسعى لتحقيق رغبة سيده، ويستدل على ذلك من الكتاب الذي بعث به أبو العباس إلى عبد الله يقول فيه: "خذ بئارك من بني أمية"... ففعل بهم ما فعل، ثم وجه فنش قبورهم، فأخرجهم وأحرقهم بالنار فما ترك منهم أحداً^(٨)، وأشار اليعقوبي أن هناك أسباباً خاصة بعبد الله بن علي وراء قيامه بما قام من أعمال القتل، فقد ذكر أن عبد الله لما صار إلى

(١) ابن منظور: مختصر، ج ٨ ص ١١٧.

(٢) ابن منظور: مختصر، ج ٢٨ ص ١١٧.

(٣) ابن كثير: البداية، ج ١ ص ٤٥؛ الحنبلي: شذرات، ج ١ ص ١٨٨.

(٤) المقدسي: البدء، ج ٥ ص ٧٢.

(٥) الأزدی: تاريخ الموصل، ص ١٣٨.

(٦) الجاحظ: البيان، ج ٣، ص ٨٤.

(٧) الجاحظ: البيان، ج ٣ ص ٨٤.

(٨) اليعقوبي: تاريخ، ج ٢ ص ٣٥٦.

الرصافة، أخرج هشام بن عبد الملك، ووجده في مغارة سريره قد طلي بما يبقيه، فأخرجه فضرب وجهه بالعمود وأقام بين العقابين، فضربه مائة وعشرين سوطاً وهو يتناثر ثم جمعه وحرقه بالنار^(١).

وذكر اليعقوبي سبب هذا التصرف من عبد الله تجاه هشام حيث قال: أن أبا عبد الله بن علي كان ذات مرة يصلي، وعليه إزار ورداء فسقط الرداء عنه فرأى عبد الله في ظهره آثار السباط، فلما فرغ من صلاته سأله: جعلت فداك يا أبتني ما هذا؟ فقال: إن الأحوال (يعني هشاماً) أخذني ظلماً فضربني ستين سوطاً، فعاهدت الله أن أضربه في كل سوط سوطين^(٢).

وقيل أن الذي قام بقتل الأمويين والتدمير بدمشق هو (أبا عون) عامر بن عبد الله بن يزيد، صاحب قحطبة، وذلك من خلال متابعته لمروان، حيث مر بدمشق فقتل أهلها مقتلة عظيمة وكان من بينهم ثمانون رجلاً من ولد مروان بن الحكم^(٣).

ثم أن هناك فكرة تثبت الحكم العباسي من خلال القضاء على كل من يفكر في استعادة الأمجاد الأموية، وإن هذه الطريقة تقدم العبرة بعدم التفكير مطلقاً بالأمر مجدداً.

كما أن عنصر المبالغة في الأعداد حاضر الذهن للمنتصر غالباً، وإذا كان في الأخبار التي جاءت حول ما قام به العباسيون تجاه أهل الشام عامة ودمشق خاصة مبالغة، فإن ذلك راجع إلى أن هذه الأخبار كتبت في العصر العباسي، وقد بذلت هذه الأخبار وزيد فيها، من أجل المفاخرة والتشفي بالأمويين وإظهار النصر العباسي بأكمل صورته^(٤).

وهناك من يرى أن العامل الاقتصادي كان دافعاً هاماً وراء ما قام به العباسيون من قتل لأهل الشام، فقد أرادوا من وراء ذلك أخذ الأموال والأراضي

(١) اليعقوبي: تاريخ، ج ٢ ص ٣٥٦.

(٢) اليعقوبي: تاريخ، ج ٢ ص ٣٥٦.

(٣) أبو حنيفة الدينوري: الأخبار، ص ٣٦٦.

(٤) حسين عطوان: الدعوة العباسية، ص ٤٩٦.

الخاصة بأهل الشام^(١). وقد حاول بعض المؤرخين المحدثين إلصاق التهمة بالعباسيين أنفسهم وأنهم هم الذين قاموا بأعمال القتل، وأن الجنود الخراسانيين كانوا بمثابة الآلة التي تنفذ الأوامر لقيادتها العباسية، وأنهم كانوا رهن إشارة قادتهم العباسيين^(٢). ويرى أحدهم أن الدولة كانت في مرحلة تأسيسها، وأن هذه المرحلة تتطلب إظهار الحزم حتى تحقق الدولة الأمان من خصومها^(٣).

وإذا كانت المصادر التاريخية قد أطنبت في ذكر النهب والقتل والتمثيل بالأموال وصلبهم من قبل العباسيين وتشفيهم بذلك، مما أعطى صورة سلبية قاسية إلى حد كبير عن معاملة العباسيين لبني أمية، فإذا كان في ما ذكرته المصادر صحيحة فإن فيها أيضاً مبالغة، ولكن على الجانب الآخر فإن هذه المصادر نفسها، أشارت وبحذر، عن طريق أخبار قليلة وحوادث متفرقة إلى العفو والأمان الذي منحه العباسيون لأهل الشام عامة وأهل دمشق خاصة. وتجاهت أبرز مظاهر ذلك عندما أصدر الخليفة أبو العباس عفواً عن شيوخ أهل الشام الذين قدموا إليه معتذرين في بداية خلافته^(٤)، وكذلك العفو الذي صدر بحق - الذين استمروا بمقاومة العباسيين - بعد سقوط دمشق وحتى مقتل مروان بن محمد ١٣٢هـ / ٧٥٠م^(٥).

كما أن المنصور أصدر عفواً عن الذين شاركوا في أعنف ثورة ضد الدولة وهي الثورة التي قام بها عمه عبد الله بن علي والتي كادت أن تنقل الخلافة من العراق إلى الشام من جديد^(٦)، ومن جوانب التسامح التي أبداه العباسيون تجاه بني أمية، ما

(١) Kennedy: The Early Abbasid Caliphate. P, 49.

(٢) فلهاوزن: تاريخ الدولة العربية، ص ٥٢٣؛ فان فلوطن: السيادة العربية، ص ١٦٥.

(٣) أحمد شلبي: التاريخ الإسلامي والحضارة، ج ٣ ص ١٥٣؛ محمد طلس: تاريخ الأمة العربية، ص ٤٣.

(٤) العسكري: الأوائل، ص ٩٨-٩٩.

(٥) ابن أعثم: الفتوح، ج ٨ ص ١٩٥.

(٦) الطبري: تاريخ، ج ٨ ص ٨٤؛ الأزدي: تاريخ الموصل، ص ١٦٧.

ذكرته المصادر حول الأمان الذي كان يمنحه العباسيون لبعض الحالات، من أفراد الأسرة الأموية^(١) أو من أفراد بيت مروان بن محمد^(٢) أو من مختلف أهل الشام^(٣).
الربيع الأموي في العصر العباسي: (الحركات الأموية المناوئة للعباسيين):

لقد ذهل الأمويون وأتباعهم ومؤيدوهم، كما ذهل أهل الشام جميعهم من هنول سقوط الدولة الأموية واستيقظوا على واقع جديد، سواء أكان ذلك في سيطرة غيرهم عليهم أم من تناقص الدور الذي كان يقوم به هذا الإقليم، فبعد أن كانت له المرتبة الأولى في إدارة شؤون الدولة الإسلامية، إذا به يقف على شاطئ الأحداث بعيداً عن الخوض فيها، وهذا ما لم يكن يرق للأمويين خاصة ولأهل الشام عامة. وكنوع من رد الفعل على سقوط الدولة الأموية، فقد قامت العديد من الثورات من أجل القضاء على الدولة العباسية، وبدأت هذه الحركات فور السيطرة العباسية على دمشق سنة ١٣٢هـ/٧٥٠م. ومن خلال ملاحظة الثورات الأموية التي قامت ضد الدولة العباسية يمكن تقسيمها إلى عدة أقسام كما يلي:

ثورة السفينائي:

ويظهر أن حركة السفينائي هي حركة سياسية كانت مصبوغة بصبغة دينية تقوم على أساس انتظار ظهور رجل من أبناء الفرع السفينائي الأموي وتحديداً من ولد أبي سفين بن حرب، يقوم بإعادة دولة بني أمية ويقضي على الدولة العباسية، ثم يعيد الملك إلى الشام ويجعل دمشق قاعدة لمملكه^(٤). وأصول هذه الفكرة تعود إلى الفترة الانتقالية للخلافة من الفرع السفينائي إلى الفرع المرواني في الدولة الأموية سنة ٦٤هـ/٦٨٣م^(٥)، فمن المؤكد أن استبعاد خالد بن يزيد بن معاوية^(٦) عن الخلافة أثر

(١) الأزدي: تاريخ الموصل، ص ١٣٤.

(٢) الأزدي: تاريخ الموصل، ص ١٣٤؛ المسعودي: مروج، ج ٣ ص ٢٧٤.

(٣) الطبري: تاريخ، ج ٨ ص ٨٤؛ الأزدي، تاريخ الموصل، ص ١٦٨.

(٤) انظر كلود كاهن: تاريخ العرب، ص ٥٨؛ جوزي، السفينائي: مجلة المقتطف، م ٨٣ ج ١ ١٩٣٣ ص ٤٩؛ عصام عقلة: الأمويون، ص ٧٥.

(٥) الزبيري: نسب قریش، ص ١٢٩؛ الأصفهاني: الأغاني، ح ١٧ ص ٣٤١.

(٦) وهو خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفين ت ٩٠هـ/٧٠٩م وكان من أشهر بني أمية من غير الخلفاء، وترشح للخلافة لكن مروان بن الحكم فاز بالمنصب دونه.

انظر الزبيري: نسب قریش، ص ١٢٩؛ الأصفهاني: الأغاني، ج ١٧ ص ٣٤١؛ البلاذري: أنساب، قسم ٤ ج ١ ص ٣٥٩؛ ابن حزم: جمهرة النسب، ص ١١٢.

عليه كثيراً، فلجأ لوضع فكرة السفيناني التي أراد من خلالها إبقاء أهل الشام ينظرون بعين الأمل إلى الفرع السفيناني كمرشح أساسي للخلافة^(١). ويبدو أن فكرة السفيناني تطورت على يد جماعة من علماء الشام بعد سقوط الدولة الأموية، لتتحول من وسيلة معارضة أموية لحكم بني مروان إلى عقيدة توحد أهل الشام ضد العباسيين^(٢).

وتطورت هذه الفكرة تطوراً آخر جعل منها عقيدة ذات تأثير في صنع الأحداث في بلاد الشام، من حيث التبشير بظهور أموي من آل أبي سفين يستغل فترة الخلاف والصراع العباسي، فيسيطر على بلاد الشام، ثم يتوجه منها إلى العراق فيدمر الكوفة- مركز أعداء الأمويين^(٣).

وبعدما أصاب الثورات التي قامت باسم هذه العقيدة من نكسات، تطورت هذه العقيدة، فأصبحت تنشر بقبام تحالف بين السفيناني المنتظر الذي سيظهر في بلاد الشام وبين الدولة المروانية في الأندلس- التي سترسل جيوشها إلى الشام- فيتعاون معها أهل الشام للقضاء على الدولة العباسية^(٤).

ويبدو أن هذه الحركة لقيت تأييداً واضحاً وواسعاً من عدد من القبائل العربية الشامية، وعلى الأخص قبائل قضاة، التي وصف المأمون موقفها... "بأنها تنتظر ظهور السفيناني حتى تقوم معه، وتقاتل إلى جانبه...."^(٥) وكذلك الحال بالنسبة لقبيلة تنوخ التي أيدت حركة السفيناني، ويبرز ذلك من خلال ما ذكره ابن العديم من أنهم

(١) الزبيري: نسب قریش ص ١٢٩؛ الأصفهاني: الأغاني، ج ١٧ ص ٣٤١؛ ابن عساکر، تاریخ ج ٢٦ ص ٣٠٣.

(٢) السلمی: عقد الدرر، ص ٧٧.

(٣) السلمی: عقد الدرر، ص ٧٧.

(٤) المسعودي: التنبيه، ص ٢٩٢.

(٥) انظر طيفور: تاريخ بغداد، ص ١٤٩؛ الطبري: تاريخ ج ٨ ص ٦٥٢؛ الأزدي: تاريخ الموصل، ص ٤٠٩.

كانوا يحتفظون بسيف أجدادهم التي قاتلوا بها مع معاوية علياً في صفين، ليقاتلوا بها مع السفيناني عند ظهوره^(١).

ومن الجدير ذكره أن عقيدة السفيناني بلغت من القوة والتأثير إلى الحد الذي جعل أي طامح بالثورة يسعى للوصول إلى الحكم، يتبنى عقيدة السفيناني، أو يدعي أنه السفيناني... لما يعلمه من الدعم الذي سوف يلاقه بسبب ذلك التبنى أو الإدعاء، وخير مثال على ذلك المبرقع اليماني الذي ثار في فلسطين سنة ٢٢٧هـ/ ٨٤١م حيث ادعى أنه السفيناني المنتظر، وهذا الإدعاء أكسبه تأييداً لم يكن ليلقاه دونه^(٢).

وعلاوة على ذلك لاقت الحركة تأييداً واضحاً من قبل كبار علماء الشام، وعلى رأسهم الوليد بن مسلم مولى الأمويين ت ١٩٥هـ/ ٨١١م وبقيّة بن الوليد الكلاعي، ت ١٩٧هـ/ ٨١٣م، وأبو مسهر عبد الأعلى بن مسهر الغساني ت ٢١٨هـ/ ٨٣٣م^(٣)، ولم يشارك العلماء في دعم هذه الحركة بالقول فقط بل وبالفعل حيث بلغ الأمر من حماسهم لهذه الحركة أن انظموا إلى صفوف الثورات التي تبنت عقيدة السفيناني^(٤).

وبالجملة فقد نادى بحركة السفيناني مجموعة من أبناء الفرع السفيناني وبصورة متتابعة فمن هؤلاء: أبو محمد السفيناني الذي أعلن ذلك في بلاد الشام، بمساندة أبي الورد، غير أن الدولة العباسية قمعت هذه الحركة سنة ١٣٣هـ / ٧٥٠م^(٥)، مئة وثلاث وثلاثين/ سبعمئة وخمسين، وعلى إثر إخفاق هذه الحركة تحرك في العام نفسه العباس بن محمد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، وأعلن أنه السفيناني، غير أن

(١) ابن العديم، بغية الطلب، ج ١ ص ٥٦٤؛ عصام عقلة: الأمويون، ص ٧٦.

(٢) الطبري: تاريخ ج ٩ ص ١١٦؛ مجهول: العيون، ج ٣ ص ٤٠٨؛ صالح الحمارنة: ثورة الفلاحين، ص ٧٨؛ عصام عقلة: الأمويون، ص ٧٧.

(٣) انظر ابن عساكر: تاريخ، ج ٤ ص ٢٧؛ أحمد بدر: فقهاء، ص ٨٧-١٠٢.

(٤) ابن عساكر: تاريخ، ج ٣٩ ص ٣٩٤؛ عصام عقلة: الأمويون، ص ٧٧.

(٥) لمزيد من التفاصيل انظر: السبلانري، أنساب، ق ٣، ص ١٦٩-١٧٠. الطبري، تاريخ، ج ٧، ص ٤٤٤.

المقدسي، البدء والتاريخ، ج ٢، ص ١٧٧. السخاوي (شمس الدين السخاوي)، (ت ٩٠٢هـ / ١٤٩٦م): التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، ج ١، ص ٣٦٢.

ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ١٩، ص ١٥٣-١٥٥. ابن العديم، بغية الطلب، ج ٩، ص ٣٩٢٧-٣٩٣٢.

هذه الحركة كان نصيبها كسابقتها الإخفاق^(١). وبالجملة فإن حركة السفيناني كانت تلاقي الدعم والتأييد والمؤازرة من بلاد الشام^(٢).

ومهما يكن من أمر فمن المؤكد أن عقيدة السفيناني (قد أثرت في الثورات الأموية) التي قامت في العصر العباسي، والتي استلهمت أفكارها وسارت على خطاها، وهذا دفع بني العباس إلى أن يكونوا قساة في الرد على مثل هذه الحركات^(٣)، ومن أبرز هذه الحركات:

حركة أبي العميطر ١٩٥هـ/ ٨١١م:

وهو علي بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية^(٤)، وأمه نفيسة بنت عبد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب، وكان يفتخر بهذا النسب بقوله: أنا ابن شيخي صفين^(٥)، وأبو العميطر لَقَّبَ به لأنه سأل جلساءه ذات يوم عن كنية الحرذون، فلم يجبه أحد! فقال: هو أبو العميطر: فلقبوه بذلك^(٦). وقد خرج في سنة ١٩٥هـ/ ٨١١م وبويع بالخلافة بدمشق خلال فترة خلافة الأمين، وكان المأمون يومئذ بخراسان^(٧)، وكان سن أبي العميطر يوم خروجه تسعين سنة^(٨).

أن حركة أبي العميطر كانت من أقوى الحركات التي شهدتها الشام كلها في العصر العباسي، ويبدو أنه تم الإعداد لها بترؤ وحكمة قبل إعلانها. فقد سبق إعلانها مرحلة هامة من الدعاية لها، وكانت تلك الدعاية قوية لأنها جاءت من قبل علماء

(١) لمزيد من التفاصيل انظر: ابن العديم، زبدة الحلب، ج ١، ص ٥٦. الشوحة (خلدون): موقف بلاد الشام من الخلافة العباسية في العصر العباسي الأول، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، ١٩٩٢م، ص ٨٩.

(٢) انظر: المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٣٠٨.

(٣) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج ١٩ ص ٣٥٣-٣٥٤.

(٤) الطبري: تاريخ، ج ٨ ص ٤١٥؛ ابن عساکر: تاريخ، ج ٤٣ ص ٢٤٤-٢٥٠؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٦ ص ٢٤٩؛ الذهبي: تاريخ، حوادث ١٩١-٢٠٠هـ ص ٥٠٢؛ الذهبي: سير ج ٩ ص ٢٨٤-٢٨٥؛ ابن خلدون: العبر، ج ٥ ص ٤٩٩.

(٥) ابن عساکر: تاريخ، ج ٤٣ ص ٢٤٤-٢٥٠؛ ابن الأثير: الكامل ج ٦ ص ٢٤٩؛ الذهبي: تاريخ، حوادث ١٩١-٢٠٠هـ ص ٥٠٤؛ الذهبي: سير، ج ٩ ص ٢٨٤-٢٨٥؛ ابن خلدون: العبر، ج ٥ ص ٤٩٩.

(٦) ابن عساکر: تاريخ ج ٤٣ ص ٢٥.

(٧) ابن عساکر: تاريخ، ج ٤٣ ص ٢٥.

(٨) ابن عساکر: تاريخ، ج ٤٣ ص ٢٥؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٦ ص ٢٤٩؛ الذهبي: سير، ج ٩ ص ٢٨٥.

يحظون بالاحترام والتقدير والتأييد من أهل دمشق خاصة والشام عامة، حيث تزعم هذه الحملة الدعائية فقيه الشام وعالمها الوليد بن مسلم، الذي كان يقول: "لو لم يبق من سنة خمس وتسعين ومائة إلا يوماً واحداً لخرج فيه السفيناني"^(١). ولم تقتصر الدعاية لثورة أبي العميطر على العلماء وحدهم، بل أن الأمويين أنفسهم نشروا دعاية واسعة النطاق لصالح أبي العميطر، حيث كانوا يروون فيه الروايات الكثيرة التي يذكرون فيها علامات السفيناني^(٢).

وقد لقبه أصحابه بالمهدي (مهدي الله)^(٣)، وقد روى أن إسحاق بن قضاة التتوخي دعا بسيوف، فجعل يقلبها ويقول: "هذه سيوف آبائنا التي قاتلوا بها يوم صفين وهي عندنا مدخرة حتى يقوم القائم من آل أبي سفين فنقاتل بها معه"^(٤). وهذا يعني أن الدعاية لأبي العميطر قد لاقت تجاوباً وتغلغلاً لدى القبائل. وكان أصحاب أبي العميطر يدورون على الناس ويقولون: "قوموا بايعوا الرضا من آل محمد"^(٥)، ويظهر أن الدعاية لأبي العميطر قد استمرت حتى بعد إعلان الحركة، وقد هدفت تحقيق الإجماع على أبي العميطر من قبل أهل دمشق، وكانت الدعاية تمارس في مختلف الأماكن لكنها كانت أكثر نشاطاً وتأثيراً في المساجد.

أما عن كيفية خروج أبي العميطر، فقد سأل الإمام أحمد الهيثم بن خارجة عن كيفية خروج السفيناني بدمشق أيام ابن زبيدة بعد سليمان بن أبي جعفر؟ فوصفه بهيئة جميلة، واعتزال الشر قبل خروجه، ثم وصفه حين خرج بالظلم، قال: أرادوه على الخروج مراراً فأبى، فحفر له خطّاب الدمشقي - المعروف بابن وجه الفلّس - وأصحابه تحت بيته سرداباً ثم دخلوه في الليل ونادوه أخرج فقد آن لك، فقال: هذا شيطان، ثم

(١) ابن عساكر: تاريخ، ج ٤٣ ص ٢٧؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٦ ص ٢٤٩؛ الذهبي: سير ج ٩ ص ٢٨٥.

(٢) ابن عساكر: تاريخ، ج ٤٣ ص ٢٨، ٢٩.

(٣) ابن عساكر: تاريخ، ج ٥٥ ص ٩٨، ٩٩.

(٤) ابن عساكر: تاريخ، ج ٤٣ ص ٣١.

(٥) ابن عساكر: تاريخ، ج ٤٣ ص ٣١.

أثوه في الليلة الثانية، فوقع في نفسه، ثم أثوه في الليلة الثالثة، فلما أصبح خرج. فقال ابن حنبل: أفسدوه^(١).

وهذه الرواية تصف أبا العميطر أنه إنسان ساذج، تمكنت مجموعة من أصحاب المصالح الخاصة من التغرير به حتى يعلن الثورة لعلها تحقق لهم مصالحهم التي يطمعون فيها، ولكن الحقيقة غير ذلك، فهذه الثورة تم الإعداد لها قبل إعلانها، عن طريق الدعاية المنظمة من قبل العلماء ورجال الدين علاوة على الأمويين أنفسهم، وإذا سلمنا أن الثورة معدة لها إعداداً محكماً، فإن من الصعب أن نقنع أنفسنا أن أبا العميطر قد تم التغرير به وأن خروجه جاء من باب الدروشة.

ومن الأمور التي ساعدت أبا العميطر على إعلان ثورته "خروجه" ما قام به الخطاب بن وجه الفلاس من تمرد، حيث قام بخلع والي الأمين سليمان بن جعفر عن دمشق، ومبايعة علي بن عبد الله بن خالد بن يزيد "أبو العميطر"^(٢)، وهذا بالطبع يؤكد قوة الدعاية التي أثّرت حول علي بن عبد الله ومميزاته، علاوة على أنه كان يتمتع بشخصية فذة جعلت أحد الثوار بعد تمكنه من التغلب على قوات والي يبيع لعلي بن عبد الله لا لنفسه، وهذا تأكيد على أن علي بن عبد الله كان يتمتع بشعبية واسعة حاول "الخطاب" أن يستغلها لتثبيت أوضاعه.

ولما اشتدت الثورة، تمكن أصحاب أبي العميطر من محاصرة والي الأمين، فوجه إليهم الأمين الحسين بن علي بن ماهان لكنه لم ينفذ إليهم، حيث صار إلى الرقة وأقام فيها^(٣)، وفي هذه الفترة صار الأمين عاجزاً عن تسيير جيش آخر لمحاربة الثورة، لانشغاله بالفتنة التي نشبت بينه وبين أخيه المأمون الأمر الذي وجدت الثورة من خلاله بيئة خصبة لتقوية نفسها.

ويظهر أن عوامل كثيرة ساهمت في تعطيل الثورة عن المضي قدماً نحو أهدافها، وكان على رأس تلك العوامل، المعارضة الشديدة التي لاقتها من جانب القيسية

(١) الذهبي: تاريخ، حوادث ١٩١-٢٠٠ هـ ص ٥٠٣؛ الذهبي: سير، ج ٩ ص ٢٨٥.

(٢) ابن عساكر: تاريخ، ج ٣ ص ٢٨؛ الذهبي: تاريخ، حوادث ١٩١-٢٠٠ هـ ص ٥٠٢.

(٣) اليعقوبي: تاريخ، ج ٢ ص ٤٣٩.

كون أبي العميطر قد صرح بأنه سيعتمد على القبائل اليمانية في ثورته^(١)، بل أن الأمر وصل إلى حد أبعد من ذلك، حيث ذكر المبشرون بالسفاني أن أموره لا تتم إلا بقبيلة كلب وأنهم أنصاره، فمالوا إليه^(٢)، وإذا كان الغرض من ذلك استمالة القبائل اليمانية فقد تم تحقيقه على أكمل وجه، ولم يكن الأمر بحاجة إلى التماسي به وأنه موجه ضد القيسية، فقد كان أبو العميطر وأتباعه في غنى عن إثارة القيسية ضدهم، ولكنهم أثاروهم، ووصلت العلاقة بين الطرفين إلى حد المواجهة الفعلية، وهنا ضاعبت الجهود التي كان من المفترض أن توجه ضد الدولة العباسية لتوجه إلى أهل دمشق أنفسهم بأنفسهم.

وبدأ أنصار أبي العميطر بإثارة الفتنة والقلق حول القيسية وزعيمهم ابن بيهس عند والي سليمان بن أبي جعفر، وأخبروه أن ضعف عمله وفساد أموره وتعطيل تطبيق قوانين الدولة سببه جميعاً الزواقل^(٣)، وأن هذه الفئة تلاقى الدعم والتأييد من قبل عشيرة وأقارب ابن بيهس، وقد اقنعوا والي بهذه الأمور فقام وحبس ابن بيهس^(٤)، ولما تخلص مؤيدو أبي العميطر من خصم عنيد، أصبح أمر انتشار ثورتهم والتبشير بزعيمهم أمراً سهلاً، فبايع أصحاب أبي العميطر وبعثوا إلى زواقلهم، ولم يشعر والي سليمان بن جعفر وهو في قصر الحجاج خارج دمشق حتى أحاطت به الرجالة فحاصروه^(٥).

ولما استقامت الأمور لأبي العميطر في دمشق قليلاً، سعى جاهداً لبياع بخلافة المسلمين، ويظهر أنه حاول من وراء ذلك أن يضفي صفة الشرعية على وجوده حتى يتمكن من مواجهة الدولة العباسية، التي تتمتع بالخلافة الرسمية على المسلمين آنذاك.

(١) ابن الأثير: ج ٦ ص ٢٤٩؛ الذهبي: تاريخ، حوادث ١٩١-٢٠٠ ص ٥٠٢؛ ابن خلدون: العبر، ج ٥ ص ٥٠٠.
Paul M. Cobb. White Banners, P.p 59-60.

(٢) ابن عساكر: تاريخ، ج ٣ ص ٢٩.

(٣) الزواقل: اشتق من الزقل، الزواقل قوم بناحية الجزيرة وما ولاها؛ ابن منظور: لسان العرب، مادة زقل، ج ٦ ص ٦٠.

(٤) ابن عساكر: تاريخ، ص ٤٣ ص ٢٩.

(٥) ابن عساكر: تاريخ، ج ٣ ص ٤٣، ص ٢٩، ٣٠.

وقد كان أبو العميطر حريصاً كل الحرص على أن يبايعه أهل دمشق والشام غير ملتفت لمن يعارض بل ومجبوراً له على المبايعة بعد أن يهدده بأساليب عديدة، فقد ذكر ابن عساكر: "أن (الركبي) كان يأخذ البيعة على الناس في دمشق لأبي العميطر في الأسواق، وكان يدور على منازل أهل دمشق، فمن خرج عليه أخذ عليه البيعة، ومن لم يخرج أمر غلامه بتسمير بابه، ليشتت به جاره"^(١)، ومن ذلك يظهر أن أبا العميطر أصبح يمثل السلطة الرسمية في دمشق وأن أتباعه كان مرضياً عنهم، ولعل هذا شجع كثيراً من عامة أهل دمشق أن لا يقفوا في وجهه بل ويباعوه ليحظوا بالامتيازات التي يبدو أن أتباعه كانوا يتمتعون بها، وهم وإن لم يحظوا بالامتيازات فلا شك بأنهم قد ابتعدوا عن العقاب أو الإضرار بمصالحهم في حال عدم مبايعتهم.

وعلى ما يبدو فالبيعة لأبي العميطر كانت على شكل الإيجار فقد ذكر أن أصحاب أبي العميطر أخذوا رجلاً فأدخلوه إلى أبي العميطر وقالوا له: بايع، فنكر لهم أنه قد عاهد الله أن لا يقبض ديواناً من أيام هارون الرشيد، فقالوا له ذلك ديوان أهل بيت اللعنة^(٢).

وبعد أن تلقى البيعة بإمرة المؤمنين، بدأ أبو العميطر جهوداً حثيثة لتأسيس دولة يكون هو على رأسها تقوم على أسس قوية في دمشق حتى تكون مركزاً للانطلاق إلى المناطق الأخرى في بلاد الشام، ثم العراق مركز الخلافة العباسية^(٣)، فمن أول ما قام به أبو العميطر من أعمال أنه أسس جيشاً خاصاً به (حرس) كان يقوم بمهام متعددة كأن يقف بين يدي "ال خليفة" إذا خرج، حيث ذكر ابن عساكر "أن أبا العميطر كان إذا خرج من الخضراء وهو راكب يمشي بين يديه خمس مائة رجل على رؤوسهم القلائس الشاميات وفي أيديهم المقارع"^(٤)، وكان هذا الحرس يقوم بمهمة أخرى وهي

(١) ابن عساكر: تاريخ، ج ٤٣ ص ٣٠.

(٢) ابن عساكر: تاريخ، ج ٤٣ ص ٣٠.

(٣) ابن عساكر: تاريخ، ج ٤٣ ص ٤٢.

(٤) ابن عساكر: تاريخ، ج ٤٣ ص ٤٢.

القلائس: جمع قلنسوة، وهي من الملابس الخاصة بالرأس؛ ابن منظور: لسان العرب، قلس ج ١١ ص ٢٧٩.

المقارع: ب جمع مقراع وهو آلة كالقلس يكسر بها الحجارة؛ ابن منظور: لسان العرب، قرع ج ١١ ص ١٢٠.

حراسة سور مدينة دمشق، حيث كانوا ينادون بالليل يا علي يا مختار، يا من اختاره الجبار على بني هاشم الأشرار^(١)، ويبدو أن أبا العميطر مارس أبهة الخلافة، لإظهار الرهبة في نفوس منافسيه وخصومه، ومن هنا نجده يحرص على الحصول على المبايعة من قبل أغلب الناس حتى اضطر إلى إجبارهم، ووقف موقف العداء من الرافضين لإجبارهم على المبايعة، وعلاوة على ذلك فهو حريص جداً على إظهار الهيبة والكرامة التي يتمتع بها من خلال الأبهة التي كان يخرج فيها من قصره والمتمثلة بخروج الحراس الكثيرون الذين يرتدون الملابس الفخمة وفي أيديهم الأسلحة ليقفوا بين يديه^(٢). وربما أراد بذلك إدخال الإعجاب والثقة في نفوس مؤيديه وإثارة الرعب في نفوس أعدائه.

ويلمح ابن عساكر أن أهل دمشق لم يكونوا جميعهم واقفين إلى جانب أبي العميطر وأن هناك عناصر كثيرة كانت تعارضه سواء أكان ذلك من أتباعه أم من أعداء القيسية، ويظهر ذلك من خلال ما قاله رجل "وصف بأنه مجنون" خلال صعود أبي العميطر المنبر في دمشق، حيث قام إليه ذلك الرجل وقال له: "أسحق الله عينك يا أبا العميطر، فقد ألقيت نفسك وألقيتنا معك في حفرة سوداء"^(٣)، وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدلُّ على أن هناك معارضة شديدة لأبي العميطر من قبل فئة كانت ترى أن هناك نتائج سيئة ستلحق بها إذا فشلت ثورة أبي العميطر^(٤).

وحاول أبو العميطر تنظيم أمور دولته تنظيمًا دقيقًا، فاتخذ من الخضراء التي بناها معاوية مقراً لممارسة مهامه كحاكم للدولة الجديدة^(٥)، كما قام بإنشاء ديوان خاص بدولته^(٦)، وجعل أبا مسهر عبد الأعلى بن مسهر الغساني الفقيه قاضياً في دولته^(٧)،

(١) ابن عساكر: تاريخ، ج ٤٣ ص ٣١؛ الذهبي: سير، ج ٩ ص ٢٨٦.

(٢) ابن عساكر: ج ٤٣ ص ٣٠، ٣١، ٣٢.

(٣) ابن عساكر: تاريخ، تاريخ، ج ٤٣ ص ٣٢، ج ٢٩ ص ٣٤١.

(4) Paul M. Cobb. White Banners, P.p 60-62.

(٥) انظر ابن عساكر: تاريخ، ج ٤٣ ص ٣٢.

(٦) ابن عساكر: تاريخ، ج ٤٣ ص ٣١.

(٧) ابن عساكر: تاريخ، ج ٥٧ ص ٣١٣؛ الذهبي: سير، ج ١ ص ٢٣٢.

واتخذ كاتباً له وهو مروان بن عنبسة الأموي، الذي كان يقف مع سعيد بن حميد بن أبي العجائز بين يديه ويبد كل منهما سيف مسلول^(١).

ويبدو أن أبا العميطر بعد أن استقرت أمور حركته، حاول أن يعطيها قوة إضافية، وكانت فكرته تتمثل بمحاولة التآليف بين القيسية واليمانية في دمشق ضد عدو واحد مشترك وهو الدولة العباسية، والهدف بالطبع إعادة المكانة التي كانت تتمتع بها الشام عامة ودمشق خاصة- إلى ما كانت عليه أيام الأمويين، علاوة على أن أبا العميطر حاول في خطته هذه أن يحدّد القيسية وزعيمهم ابن بيهس من التدخل في الأحداث، فيكون إن لم يكسبهم لجانبه قد كسب عدم وقوفهم مع أعدائه، وعلى الأقل مؤقتاً حتى يتفرغ لهم، ومن هنا أرسل أبو العميطر إلى زعيم القيسية ابن بيهس-الذي لم يدخل في طاعته- كتاباً ذكره فيه بالمعاملة الحسنة التي كان يحظى بها أسلافه، وليس هذا فحسب بل أنه عرض عليه أن يوليه ما خلف أباه إن هو بايعه^(٢)، وبالمقابل فقد استخدم أبو العميطر أسلوب التهديد إلى جانب أسلوب الترغيب فقد توعد ابن بيهس بالحرب إن هو رفض البيعة^(٣)، واختار ابن بيهس عدم المبايعة لأبي العميطر، فكانت إجراءات أبي العميطر سريعة حيث بدأ بمهاجمة قرى القيسية في الغوطة، فسارع ابن بيهس لنجدتهم، وهذا ما دفع أبا العميطر لإرسال جيش لعله يستطيع القضاء على المقاومة بسرعة^(٤).

وفي هذه الفترة كانت الحرب ما تزال مشتعلة بين الأخوين الأمين والمأمون، ويبدو أن ابن بيهس كان يتابع الأحداث عن كثب، ويرى أن كفة المأمون هي الراجحة، فما كان من ابن بيهس إلا أن أرسل إلى المأمون كتاباً يخبره فيه بأمر أبي العميطر ويستأذنه بغازيته فأذن له^(٥)، وهذا العمل مهم من ابن بيهس فهو اعتبر أن السلطة

(١) الذهبي: سير، ج ١ ص ٢٣٢.

(٢) ابن عساكر: تاريخ، ج ٥٧ ص ٣١٣.

(٣) ابن عساكر: تاريخ، ج ٥٧ ص ٣١٣؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٦ ص ٢٤٩.

(٤) ابن عساكر: تاريخ، ج ٥٣ ص ٢٥٨؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٦ ص ١٤٩.

(٥) ابن عساكر: تاريخ، ج ٥٥ ص ٣١، ٣٢، ج ٦٨ ص ٢٥٤.

الرسمية هي سلطة المأمون، وأن تكليف المأمون له بالوقوف في وجه أبي العميطر ما هو إلا مكسب له حيث أصبح يمثل السلطة الرسمية المستقبلية وهو ما تم بالفعل.

وتمكن ابن بيهس من هزيمة جيش أبي العميطر وقتل أعداد كبيرة منه^(١)، وقد أعطى الانتصار لابن بيهس ثقة كبيرة حيث توجه بعدها لحصار دمشق، وهذا ما دفع أبا العميطر لطلب المساعدة من أعوانه في خارج دمشق وحمص وقنسرين، فقدم عليه عدد كبير منهم^(٢)، ثم شكل أبو العميطر جيشاً ضخماً وجعل عليه ابنه القاسم وكان يساعده في القيادة المعتمر بن موسى، ووجهه لقتال ابن بيهس^(٣)، وعلى ما يبدو أن أبا العميطر كان يعول على هذا الجيش كثيراً في حسم المعركة والانتصار على ابن بيهس ودليل ذلك أنه جعل من ابنه الوحيد (القاسم) قائداً للجيش، ويظهر أن معركة حامية الوطيس قد جرت بين جيش أبي العميطر بقيادة ابنه القاسم وبين ابن بيهس، أسفرت عن هزيمة ومقتل القاسم بن أبي العميطر ومساعدته المعتمر بن موسى^(٤).

ومن المؤكد أن الهزيمة التي تلقتها قوات أبي العميطر ومقتل ابنه القاسم كانت حداً فاصلاً لمشاريعه الهادفة لتوسيع رقعة دولته، فقد كان أبو العميطر يسعى لبسط نفوذه على مساحات واسعة من الشام والجزيرة ويبدو ذلك من خلال رده على من جاء يخبره عندما ملك اتباعه قرية المصيصة بباب دمشق، "فخر ساجداً وقال: الحمد لله الذي ملكنا الثغر توهم أنها المصيصة التي عند طرسوس"^(٥)، وعلاوة على ذلك فقد كان القاسم بمثابة اليد التي يحكم فيها أبو العميطر خاصة وأن سنةً قد تجاوز التسعين، وكان يطمح أن يشكل دولة قوية واسعة يورثها لابنه من بعده، ولكن أحلامه أنهارت بمقتله، مما أفقده الحماس للثورة.

وبعد أن كانت "دولة" أبي العميطر في طريقها إلى الانهيار جاء مرض ابن بيهس في هذه الفترة الحرجة ليؤخر من سقوط دولة أبي العميطر بعض الوقت، حيث تراجع ابن

(١) ابن عساكر: تاريخ، ج ٥٣ ص ٢٥٩؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٦ ص ٢٤٩؛ الصفي: تحفة، قسم ١ ص ٢٥٥.

(٢) ابن عساكر: تاريخ، ج ٥٣ ص ٢٦٠.

(٣) ابن عساكر: تاريخ، ج ٥٣ ص ٢٦٠؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٦ ص ٢٥٠؛ ابن خلدون: العبر، ج ٥ ص ٥٠٠.

(٤) ابن عساكر: تاريخ، ج ١٧ ص ٢١٧.

(٥) ابن عساكر: تاريخ، ج ١٧ ص ٢١٧.

بيهس أمام دمشق بعد أن كان ينوي القيام بهجوم شامل عليها^(١)، ولكنه قبل انسحابه كان قد أعد الأمور حتى لا يعطي أبا العميطر الفرصة في التقاط أنفاسه، فهو إذا كان قد انسحب من أمام دمشق هو وجيشه ولم يواجه أبا العميطر وجهاً لوجه، فقد اختار أن يواجه أبا العميطر من الداخل، وذلك عن طريق إثارة الفتنة داخل معسكره، وتشجيع أحد الأمويين الطامحين على طرح نفسه كمنافس حقيقي لأبي العميطر^(٢)، وقد أراد ابن بيهس من ذلك أن يشق الجبهة الموحدة حول أبي العميطر، عن طريق التشكيك في صحة ما يدعيه أبي العميطر فيلجأ الناس لتأييد شخص آخر من بني مروان^(٣)، وهذا ما تم بالفعل، حيث جمع ابن بيهس رؤوساء بني نمير وأوهمهم أنه حريص على آل مروان وأن المرض منعه من أن يطلب لهم بحقوقهم، فحثهم على الرفق ببني مروان، وشجعهم على اختيار مسلمة بن يعقوب أحد أحفاد مسلمة بن عبد الملك وجاء اختياره لصلة القرابة التي تربطه ببني نمير، علاوة على ركافة شخصيته^(٤)، وهو ما يؤدي لنجاح خطة ابن بيهس.

وحدث ابن بيهس بني نمير أن يخبروا مسلمة أنهم معه وليسوا مع أبي العميطر (بني أبي سفيان)، وقد أراد ابن بيهس من ذلك أن يكيد السفيناني بـ مسلمة صراحة^(٥)، وبعد أن أتم ابن بيهس إعداد خطته، عاد إلى حوران ليأخذ قسطاً من الراحة لعله يتمثل للشفاء، في الوقت الذي اجتمعت فيه بنو نمير على مسلمة وبذلوا له البيعة بناءً على خطة أعدها ابن بيهس، ويظهر ذلك من خلال قوله^(٦):

كَيْدُوا الْعَدُوَّ بِأَنْ تُبَدُّوْا مُبَاعِدَتِي وَلَا تَتَوَا فِي الَّذِي فِيهِ لَهُمْ تَلَفٌ

(١) ابن عساکر: تاريخ، ج ٥٣ ص ٢٦٢؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٦ ص ٢٥٠؛ ابن خلدون: العبر، ج ٥ ص ٥٠٠.

(٢) ابن عساکر: تاريخ، ج ٥٣ ص ٢٦٣؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٦ ص ٢٥٠؛ ابن خلدون: العبر، ج ٥ ص ٥٠٠.

(٣) ابن عساکر: تاريخ، ج ٥٣ ص ٢٦٣؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٦ ص ٢٥٠؛ ابن خلدون: العبر، ج ٥ ص ٥٠٠.

(٤) ابن عساکر: تاريخ، ج ٥٣ ص ٢٦٣؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٦ ص ٢٥٠؛ ابن خلدون: العبر، ج ٥ ص ٥٠٠.

(٥) ابن عساکر: تاريخ، ج ٥٣ ص ٢٦٢؛ ج ٥٨ ص ٦٩؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٦ ص ٢٥٠؛ ابن خلدون: العبر، ج ٥ ص ٥٠٠.

(٦) ابن عساکر: تاريخ، ج ٥٣ ص ٢٦١؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٦ ص ٢٥٠.

وَكَاثِبُونِي بِمَا تَأْتُونَ مِنْ هَنَاءٍ حَتَّى تَكُونَ إِلَيَّ الرُّسُلُ تَخْتَلِفُ

ولما بايع بنو نمير مسلمة قبلَ منهم وجمع مواليه وأهل بيته، فدخل إلى أبي العميطر في الخضراء كعادته للسلام عليه فقبض على أبي العميطر وشده بالحديد، ثم بعث إلى زعماء بني أمية على لسان أبي العميطر يأمرهم بالحضور، فلما حضروا أجبرهم على المبايعة قسراً واحداً تلو الآخر^(١)، ولما كان مسلمة قد وصل إلى السلطة عن طريق القيسية، فقد أدنى القيسية إلى جانبه، ولبس الثياب الحمراء وجعل الحمرة شعاراً له^(٢)، وحاول مسلمة أن يكافأ بني نمير على مساعدتهم له، فقام بإقطاعهم ضياع المرج، وقربهم إليه واستمالهم، وجعل لكل رجل من وجوه قيس بدمشق منزلاً^(٣).

وعندما خرج ابن بيهس من علقته جمع جماعة وأقبل يريد دمشق، فطلب مسلمة ممن معه مواجهة ابن بيهس، فوعده خيراً، وخرج مسلمة وخرجت معه القيسية فقاتلوا ذلك اليوم مع مسلمة قتالاً شديداً وكثرت الجراحات بين الفريقين^(٤)، ويظهر أن ابن بيهس أساء الظن بالقيسية الذين كان قد اتفق معهم على مبايعة مسلمة لكيد أبي العميطر، وصار يشك بأنهم فعلاً يفتون مع مسلمة، ويظهر ذلك من خلال ما قاله ابن بيهس:

سَيَكْفِي اللَّهَ وَهُوَ أَعَزُّ كَافٍ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ذَوِي الْخِلَافِ
وَكُلُّ مَقْدَرٍ فِي اللُّوْحِ يَأْتِي وَكُلُّ ضَبَابَةٍ فَإِلَى أَنْكِ شَافٍ
وَعَنْ حَقِّ أَذْفَاعِ أَهْلِ جَوْرِ وَشَتَّى بَيْنَ قَصْدٍ وَانْحِرَافٍ^(٥)

ويبدو أن القيسية عادوا لاتفاقهم مع ابن بيهس، حيث تعذروا من مسلمة لعدم القتال معه، وأنهم يرغبون في إقناع ابن بيهس بالصلح، ثم تخذيل أصحابهم عنه ولكنهم كانوا قد أضمرُوا الغدر، فاتفقوا مع ابن بيهس وبيتوا الأمر لمسلمة، فصبح ابن بيهس دمشق

(١) ابن عساکر: تاريخ، ج ٥٨ ص ٦٩؛ ج ٥٣ ص ٢٦١-٢٦٢.

(٢) ابن عساکر: تاريخ، ج ٥٨ ص ٦٩؛ ابن خلدون: العبر، ج ٥ ص ٥٠٠.

(٣) ابن عساکر: تاريخ، ج ٥٨ ص ٦٩؛ ج ٥٣ ص ٢٦٢؛ ابن خلدون: العبر، ج ٥ ص ٥٠٠.

(٤) ابن عساکر: تاريخ، ج ٥٣ ص ٢٦٤، ج ٥٨ ص ٧٠.

(٥) ابن عساکر: تاريخ، ج ٥٨ ص ٧٠؛ ج ٥٣ ص ٢٦٤.

بالخيل والرجالة والسلاط، ونشب القتال ناحية باب كيسان^(١)، وسارع مسلمة إلى الهرب، حيث أخرج أبا العميطر من حبسه ولبس لبس النساء وخرجاً من باب الجابية إلى المزة، ثم دخل ابن بيهس مدينة دمشق سنة ١٩٨هـ/ ٨١٣م وغلب عليها^(٢)، وعلى الرغم من دخول ابن بيهس دمشق وغلبته عليها، إلا أن مقاومة أبي العميطر ومسلمة لم تنته، حيث بقيت جيوب المقاومة في المزة وداريا وبيت لهما، حتى صالح ابن بيهس أهل بيت لهما ثم حارب المزة وداريا وهو مقيم بدمشق أميراً عليها، واستمر كذلك حتى قدم عبد الله بن طاهر دمشق سنة ٢١٠هـ/ ٨٢٥م، حيث ذهب ابن بيهس مع عبد الله بن طاهر للعراق فمات هناك^(٣).

وانتهت ثورة من أقوى الثورات إن لم تكن أقواها، والدارس لهذه الثورة يمكن أن يلحظ مجموعة من الأسباب التي كان لها الأثر الأكبر في عدم نجاحها على الرغم من الدعاية التي سبقتها ومنها:

أن أبا العميطر لم يستطع أن يحتوي خصومه، وعلى الأخص القيسية وزعيمها ابن بيهس، وهذا بالطبع أدى إلى انشغال الثورة بقتال القيسية بدلاً من التوجه للسيطرة على باقي مناطق الشام، وهي بذلك خسرت مجهوداً مادياً كان الأولى بها أن توجهه نحو الدولة العباسية.

وعلاوة على ذلك فإن صاحب الثورة رجل طاعن في السن، فقد بلغ عمره عند قيامه بالثورة تسعين عاماً، وهذا بالطبع قلل من قدرته على ممارسة قيادة الثورة بحيوية ونشاط. كما كان لمقتل ابنه القاسم أثر كبير في تناقص حماسه للثورة، فقد كان يطمح بتكوين دولة قوية ثم نقلها إلى ابنه، الذي شكل مقتله ضربة موجعة له ولثورته. وهناك سبب آخر من الأسباب العميقة، فعلى الرغم من أن الثورة اعتمدت في غايتها على

(١) ابن عساکر: تاريخ، ج ٥٨ ص ٧٠؛ الذهبي: سير، ج ٩ ص ٣٣٨.

(٢) ابن عساکر: ج ٥٣ ص ٢٦٤-٢٦٥؛ ج ٥٨ ص ٧٠؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٦ ص ٢٥٠؛ الذهبي: تاريخ، حوادث، ١٩١-٢٠٠ ص ٥٠٢؛ سير ج ٩ ص ٣٣٨؛ الحنبلي: شذرات، ج ٢ ص ٦.

(٣) ابن عساکر: تاريخ، ج ٥٣ ص ٢٦٥، ج ٥٥ ص ٣١-٣٢، ج ٥٨ ص ٧٠، ابن الأثير: ج ٦ ص ٢٥٠، الحنبلي: شذرات، ج ٢ ص ٦؛ ابن خلدون: العبر، ج ٥ ص ٥٠١.

الدعوة للبيت الأموي وعلى الأخص لآل أبي سفيان وهو عامل من عوامل قوتها - إلا أنها شهدت انقساماً بين الأمويين أنفسهم، حيث انقسموا إلى سفيانيين يؤيدون أبا العميطر باعتباره السفياني المنتظر... وفئة تؤيد مسلمة باعتباره من آل مروان أصحاب الحق المباشر بالخلافة، وكان هذا من الأسباب التي ساهمت في نهاية الثورة، حيث تمت مهاجمة أبي العميطر من مكان آمن لم يكن يتوقع منه الهجوم مما أدى إلى سقوطه^(١).

حركة عثمان الأزدي ١٣٢-١٣٧هـ / ٧٥٠-٧٥٤م.

قام عثمان الأزدي بالوقوف في وجه الدولة العباسية مرتين، وكانت الأولى بعد خروج عبد الله بن علي لمحاربة أبي محمد السفياني^(٢) وأبي الورد (مجزأة الكلابي) سنة ١٣٢هـ، حيث استغل أهل دمشق قيام ثورة أبي محمد السفياني وتجهيز عبد الله بن علي الجيوش لحربه، فانتفضوا وبيضوا ونهضوا مع عثمان بن عبد الأعلى بن سراقبة الأزدي^(٣)، وقد تمكنت هذه الحركة من الظفر بقائد عبد الله بن علي ومن معه حيث هزموه وقتلوا من أصحابه مقتلة عظيمة، ثم انتهبوا ما كان عبد الله بن علي خلف وراءه من ثقل ومتاع، ولكنهم لم يعرضوا لأهله^(٤).

ولم يعر عبد الله بن علي هذه الحركة كثيراً من الاهتمام والجهد في تلك الفترة، لأنه كان قد وجه جل اهتمامه للثورة التي قام بها أبو محمد السفياني ومجزأة بن الكوثر في

(١) انظر:

Paul M. Cobb. White Banners, P.p 62-64

(١) وهو زياد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية، وقتل في بداية خلافة المنصور. السبلاني: أنساب، قسم ٤ ج ١ ص ٣٦٨؛ الطبري: تاريخ، ج ٧، ص ٣١١.

(٢) الطبري، تاريخ، ج ٧ ص ٤٤٣-٤٤٤؛

Paul M. Cobb. White Banners. P.p 76-77.

(٣) الطبري: تاريخ، ج ٧ ص ٤٤٣-٤٤٤؛ ابن عساکر: تاريخ، ج ٣٤ ص ١٨٩، ج ٣٨ ص ٤٢٨؛ الصفي: تحفة، قسم ١ ص ٢٠٧.

ونكر أبو الفداء أنهم نهبوا أهل عبد الله، المختصر ج ١ ص ٢١٣. ولو كانوا نهبوا أهل عبد الله لما سامحهم وعفا عنهم بسهولة فيما بعد.

قنسرين، والتي كانت من القوة بحيث لا تحتمل التأجيل^(١). ويظهر أن انشغال عبد الله بن علي بمحاربة السفيناني وأبي الورد، جعل هذه الثورة تستمر أكثر مما ينبغي لها، حيث استمرت حتى فرغ عبد الله بن علي من حرب السفيناني^(٢).

وفور قضائه على ثورة أبي محمد السفيناني أمّن عبد الله بن علي أهل قنسرين، فسودوا وباعوه ودخلوا في طاعته، ثم انصرف راجعاً بعد أن تفرغ لمواجهة أهل دمشق لما كان من تبويضهم وهزيمتهم أبا غانم (قائد عبد الله بن علي)^(٣)، ولما اقترب عبد الله بن علي من دمشق، خاف أهلها الثائرون فهربوا وتفرقوا، ثم طلبوا الأمان فأمنهم عبد الله بن علي فباعوه ولم يأخذهم بما كان منهم^(٤).

ويبدو أن أهل دمشق قد عاد إلى أذهانهم ما قام به عبد الله بن علي يوم دخل دمشق من نهب وتدمير، فخافوا أن يحدث بهم ما حدث في السابق فآثروا الهروب على الاستمرار في الثورة، ثم سارعوا لطلب الأمان كنوع من الاحتراز من انتقام عبد الله بن علي. ومن الواضح أن هذه الحركة جاءت امتداداً لسلسلة من موجات المعارضة للعباسيين، والتي شملت أغلب مناطق الشام - ضد سياسة القتل التي مارسها العباسيون تجاه الأمويين وقادتهم.

وكانت هذه الحركة ضعيفة، وتكمن أبرز عوامل ضعفها في غياب التخطيط المنظم والمشارك، فهي إن قامت في فترة مليئة بالثورات، فإنما يدل ذلك على أن هناك تنسيقاً ما قد تم حول وقت إعلان الثورة لتتزامن مع ثورات أخرى لعلها تشتت الجهد العباسي في التصدي لها، غير أن هذا التنسيق لم يرق إلى المستوى المناسب، فهذه الثورة إن اشتركت مع غيرها في الفترة الزمنية فهي قد اختلفت مع غيرها في غياب الجهد المشترك الموحد ضد السلطة العباسية، وهذا ما مكّن عبد الله بن علي من الانفراد بالثورات والقضاء عليها الواحدة تلو الأخرى.

(١) الطبري: تاريخ، ج ٧ ص ٤٤٤.

(٢) الطبري: تاريخ، ج ٧ ص ٤٤٤.

(٣) الطبري: تاريخ، ج ٤ ص ٤٤٤.

(٤) الطبري: تاريخ، ج ٧ ص ٤٤٤؛ الأزدى: تاريخ الموصل، ص ١٤٤؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٥ ص ٤٣٣.

ونلاحظ أن عبد الله بن علي قد تعامل مع هذه الثورة التي قامت بكل لين وتساهل، ولم يبد تجاه "أهل دمشق" أي قوة أو عنف، بل سامحهم وأمنهم وعفا عنهم، ويمكن رد ذلك إلى أنه لم يحصل بينها وبين قوات عبد الله بن علي أي اشتباك وأن عناصرها تفرقوا قبل وصول عبد الله بن علي، فلم يعد الأمر محتاجاً لعقابهم^(١).

ويمكن تفسير هذا التصرف من عبد الله بن علي وما أبداه من لين تجاه هذه الثورة في أن عبد الله بن علي ربما قد جعل الشام ولاية خالصة له، وربما قد استفاد كثيراً من تجربة معاوية بن أبي سفيان الذي كان والياً على الشام وتمكن أهل الشام من إنصاله إلى الخلافة فلعلّ عبد الله كان يرنو للخلافة، فحاول أن يعيد الثقة لأهل الشام وعلى الأخص أهل دمشق، بعدما اقترفه خلال عملية الاستيلاء على دمشق، لعله بذلك يجد الأرض الخصبة لتحقيق طموحاته.

ومهما يكن من أمر فقد هرب عثمان بن عبد الأعلى من دمشق قبل وصول عبد الله بن علي، وبقي مختفياً حتى وفاة السفاح وإعلان عبد الله بن علي ثورته على المنصور^(٢). واستغل عثمان بن عبد الأعلى النزاع داخل البيت العباسي ليعلن خروجه الثاني على الدولة العباسية سنة ١٣٧هـ/٧٥٤م^(٣)، حيث أعلن الخروج عن بيعة المنصور، وقام بسب بني العباس على منبر دمشق^(٤). وقد فكر عثمان بن عبد الأعلى بكسب التأييد والمؤازرة لثورته فما كان منه إلا أن قام بالمبايعة بالخلافة لأحد أحفاد معاوية وهو هاشم بن يزيد^(٥). وقد استجاب له أهل دمشق - المتحفزون للوقوف إلى جانب أي شخص يعيد إليهم ما فقد من حقوقهم وامتيازاتهم - وبايعوا هشاماً لكن الأمر لم يتم لهم،

(١) انظر الطبري: تاريخ، ج ٧ ص ٤٤٤.

(٢) الذهبي: تاريخ حوادث ١٢١-١٤٠هـ ص ٣٥٣؛ أبو المحاسن: النجوم، ج ١ ص ٣٣٢.

(٣) الذهبي: تاريخ حوادث ١٢١-١٤٠هـ ص ٣٥٣؛ العبر: ج ١ ص ٤٤٤؛ سير أعلام، ج ٦ ص ١٦٠. اليافعي: مرآة الجنان، ج ١ ص ٣١٣.

(٤) أبو المحاسن: النجوم، ج ١ ص ٣٣٢؛ الحنبلي: شذرات، ج ٢ ص ١٨٥.

(٥) الذهبي، تاريخ، حوادث ١٢١-١٤٠هـ ص ٣٥٣؛ سير، ج ٦ ص ١٦٠؛ العبر، ج ١ ص ٤٤٤؛ اليافعي: مرآة الجنان، ج ١ ص ٣١٣؛ أبو المحاسن: النجوم، ج ١ ص ٣٣٢؛ الحنبلي: شذرات، ج ٢ ص ١٨٥.

حيث عاجلهم المنصور وأرسل لهم جيشاً بقيادة عمه صالح ابن علي تمكن من القضاء على عثمان وقتله^(١).

حركة هاشم بن يزيد السفيناني: ١٣٦هـ/ ٧٥٣م:

قامت هذه الثورة خلال الفترة التي تلت وفاة السفاح وقيام عبد الله بن علي بالتمرد على المنصور والدعوة لنفسه بالخلافة^(٢)، ويبدو أن هاشم بن يزيد حاول استغلال تمرد عبد الله بن علي ضد المنصور وانشغال المنصور بحربه، فأعلن ثورته، بترتيب وإعداد من عثمان بن سراقه الأزدي، وجاءت الثورة في وقتٍ حرجٍ انشغل فيه المنصور بحرب عمه المتمرد، وقد هدف هاشم من اختيار هذا الوقت للثورة إلى تحقيق أكبر قدر ممكن من المكاسب في ظل اختلاف الكلمة العباسية وتششت جهودها، وبالفعل تمكن هاشم بن يزيد من تحقيق بعض الانتصارات حيث استطاع السيطرة على دمشق، والتي سارع أهلها لنبايعته بالخلافة^(٣).

ويظهر أن أهل دمشق قد حلموا بعودة مدينتهم إلى مجدها الغابر، وحلموا أن هذه هي الفرصة التي يستلم فيها الحكم أموي لعله يعيد الهيبة والمكانة التي سلبت من دمشق، خاصة في ظل انشغال العباسيين بالتناحر فيما بينهم على السلطة.

وهذا لا بد من الإشارة إلى أن أهل دمشق كانوا كثيري "الولاءات"، مذهبهم واضح ينسئل في إعادة الهيبة والمجد لدمشق. وهم مستعدون للتحالف مع أي طرف مقابل تحقيق هذا الهدف، فقبل قيام ثورة هاشم بن يزيد كان الدمشقيون يقفون موقفاً مؤيداً من حركة عبد الله بن علي، وقد أملوا من ذلك تحقيق حلمهم في إعادة مجد الشام ودمشق لسابق عهده، ولكن يظهر أن أهل دمشق قد كشفت نواياهم الحقيقية والمتمثلة في أنهم أصحاب ولاء أموي، فهم يرغبون بإعادة مجد دمشق ولكن إن كان هذا الإنجاز سيتحقق على يد أموي كان أفضل، لذا نجدهم يبايعون هاشماً مع أنهم وقفوا موقفاً لصالح عبد الله بن

(١) الذهبي: سير، ج ٦ ص ١٦١؛ الصفي: تحفة، قسم ١ ص ٢٠٨؛ الياضي: مرآة الجنان، ج ١ ص ٣١٣.

(٢) انظر الذهبي: تاريخ، حوادث ١٢١-١٤٠هـ، ص ٣٥٣؛ الصفي: تحفة، قسم ١ ص ٢٠٨.

(٣) انظر الذهبي: تاريخ، حوادث ١٢١-١٤٠هـ، ص ٣٥٣؛ الصفي: تحفة، قسم ١ ص ٢٠٨.

علي قبل ثورة هاشم هذا، ويبدو أن هذه الثورة شكلت عبئاً كبيراً على قوات عبد الله بن علي الخارج على الدولة في تلك الفترة، وأضعفت من قوته، فحاول أن يقضي عليها ولكنه فشل في مسعاه^(١).

- حركة مسلمة بن يعقوب المرواني ١٩٦هـ/ ٨١٢م:

قام مسلمة بالقبض على أبي العميطر وبمساندة من بني نمير القيسيين الذين رفضوا كباقي قبائل قيس - الوقوف في صف أبي العميطر خلال ثورته لأنه اعتمد على اليمانيين أعداء القيسية^(٢).

ومع أن مسلمة بن يعقوب المرواني، خرج بعد أن قام ابن بيهس بتحريض بني نمير القيسية على مبايعة شخص آخر من بني أمية محاولة منه في شرخ الصف الأموي عن أبي العميطر وقد نجح فعلاً^(٣)، فقد مارس مسلمة سلطاته كحاكم نائر... حيث أجبر رؤساء بني أمية في دمشق على مبايعته^(٤)، واتخذ مسلمة بن يعقوب من الحمرة شعاراً له^(٥)، كما حاول أن يرضي من وقفوا لجانبه وهم بنو نمير حيث كافأهم وقام بتوزيع الضياع عليهم، بل إن مكافأته لم تقتصر على بني نمير بل طالبت القيسية جميعاً، فقد جعل لكل قيسي منزلاً في دمشق^(٦).

وقد جاءت ثورة مسلمة بن يعقوب في الفترة التي مرض فيها ابن بيهس^(٧)، فلما تعافى ابن بيهس من مرضه عاود الهجوم على دمشق وتمكن من دخولها بعد أن إنحاز إليه بني نمير سنة ١٩٨هـ/ ٨١٣م^(٨). مما اضطر مسلمة إلى الخروج من دمشق بعد أن

(١) انظر الذهبي: تاريخ، حوادث ١٢١-١٤٠هـ، ص ٣٥٤-٣٥٥.

(٢) ابن عساكر: تاريخ، ج ٥٢ ص ٢٦١ و ج ٥٨ ص ٦٩؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٦ ص ٢٥٠.

(٣) ابن عساكر: تاريخ، ج ٥٨ ص ٦٩؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٦ ص ٢٥٠؛ ابن خلدون: العبر، ج ٥ ص ٥٠٠.

(٤) ابن عساكر: تاريخ، ج ٥٨ ص ٦٩.

(٥) ابن عساكر: تاريخ، ج ٥٨ ص ٦٩؛ ابن خلدون: العبر، ج ٥ ص ٥٠٠.

(٦) ابن عساكر: تاريخ، ج ٥٨ ص ٦٩؛ ابن خلدون: العبر، ج ٥ ص ٥٠٠.

(٧) ابن عساكر: تاريخ، ج ٥٢ ص ٦١.

(٨) ابن عساكر: تاريخ، ج ٥٨ ص ٧٠؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٦ ص ٢٥٠؛ الذهبي: سير ج ٩ ص ٣٣٨.

أخرج أبا العميطر من سجنه وهربا معاً خارج دمشق في زي النساء، حيث توفيا وهما متواريان في قرى دمشق^(١).

- حركة سعيد بن خالد الفديني ١٩٨-٢٠٨هـ / ٨١٣-٨٢٣م:

خرج بدمشق خلال فترة خلافة المأمون مباشرة بعد القضاء على ثورة أبي العميطر، وادّعى الخلافة^(٢)، وقام بمهاجمة ضياع القيسية وقتل من قدر عليه منهم، وتعصب لليمينة^(٣)، ويظهر أن سعيد بن خالد الفديني كان يحمل حقداً على القيسية كونهم خذلوا أبا العميطر ووقفوا في وجهه، فأراد الانتقام منهم ثاراً لما حدث له. وتجاه هذا الوضع المتمثل بتوجيه الفديني حملته ضد القيسية، وجد ابن بيهس نفسه في مواجهة هذا الثائر وسرعان ما وجه قوات لمواجهته، وبالفعل تمكنت قوات ابن بيهس (القيسية) من تحقيق الانتصار عليه، ومن ثم تدمير الحصن الذي كان يقيم به في الفدين^(٤).

وبعد هزيمته وجد الفديني نفسه أمام خيار الاستعانة بمن تبقى من أنصار أبي العميطر- الذين جلوا عن دمشق بعد هزيمة أبي العميطر- حيث سارعوا للالتفاف حوله لمواجهة القيسية ولكن القيسية تمكنت من هزيمتهم مرة أخرى، وأجبرت الفديني على الفرار والتواري عن الأنظار بعد أن تفرق عنه أصحابه^(٥).

حركة القلة ١٩٤هـ / ٨٠٩م^(٦):

حدثت هذه الحركة خلال ولاية منصور بن محمد المهدي على دمشق في خلافة الأمين، حيث اكتشف إمام المسجد الجامع بدمشق شعيب بن إسحاق القرشي الأموي

(١) ابن عساكر: تاريخ، ج ٥٢ ص ٢٦٥؛ ج ٥٥ ص ٣١-٣٢، ج ٥٨ ص ٧٠؛ ابن الأثير، ج ٦ ص ٢٥٠.

(٢) ابن عساكر: تاريخ، ج ٢١ ص ٥٦؛ ياقوت: معجم البلدان ج ٤ ص ٢٤٠؛ الصفدي: تحفة، قسم ١ ص ٢٦٨.

(٣) ابن عساكر: تاريخ، ج ٢١ ص ٥٦؛ حسن عثمان: الحدود الإسلامية، ج ٢ ص ١٦٧.

(٤) ابن عساكر: تاريخ، ج ٢١ ص ٥٧؛ ياقوت: معجم البلدان، ج ٤ ص ٢٤٠.

والفدين: من أرض حوران جنوب دمشق؛ ياقوت: معجم البلدان، ج ٤ ص ٢٤٠.

(٥) ابن عساكر: تاريخ، ج ٢١ ص ٥٧؛ ياقوت: معجم البلدان، ج ٤ ص ٢٤٠؛ الصفدي: تحفة، قسم ١ ص ٢٦٨.

(٦) كانت تعلق في مسجد دمشق قناديل بلورية مرتبطة بسلاسل مذهبة وجعل فيها المسك، وكان فيها ثريا ثمينة نادرة تسمى القلة. والقلة جوهرة كبيرة على شكل جرّة. انظر ابن منظور: لسان العرب، ج ١١ ص ٢٨٧؛ انظر عفيف البهنسي: الشام والحضارة، ص ١٤٨.

ت ١٨٩ هـ / ٨٠٥ م^(١) أن القلة ليست في المكان الذي أعتاد أن يراها فيه، فعمل على إثارة الناس بسبب فقدانها، حيث حضر إلى وسط القبة الكبيرة بحذاء المحراب وأخذ يصيح بأعلى صوته: "سرفت قلتكم، فصاح الناس: لا صلاة بعد القلة"، حتى صارت مثلاً^(٢)، وانتشر بين أهل دمشق أن داود بين عيسى صاحب شرطة الوالي منصور بن محمد هو الذي أخذها، وكان يقصد من أخذها تقديمها هدية إلى الأمين المعجب بالبلور^(٣).

وكان إجراء أهل دمشق سريعاً على ما حدث، حيث هاجموا الشرطة وهزموا قائدها الذي هرب إلى القصر، فلحق به أهل دمشق وحاصروا القصر وفيه قائد الشرطة والوالي^(٤)، ورأى الوالي أن يتصرف بسرعة قبل أن يستفحل الأمر، فجمع أهل الرأي والمشورة وعلى رأسهم القاضي، واستشارهم بما ينبغي فعله، فأشار عليه القاضي تسليمهم قائد الشرطة، فأبى^(٥).

واقترح القاضي اقتراحاً آخر يتضمن أن يتنازل الوالي عن الحكم وأن يعهد به لأحد أهل دمشق، فما كان من الوالي إلا أن قدم القاضي وخلع عليه، ثم لاذ بالفرار ليلاً من المدينة وبصحبه قائد شرطته^(٦)، ويظهر أن الأمين كره أن تفرض إرادة الثوار على الدولة فرضاً فعين على المدينة سليمان بن جعفر، وأمره بحل المشكلة سنة ١٩٤ هـ / ٨٠٩ م^(٧).

ويبدو أن ثورة أهل دمشق جاءت لتعبر عن سخطهم من الأوضاع التي يعيشونها والمتمثلة في تجرأ الولاة عليهم، حتى وصل الأمر بالولاة إلى التدخل في أممتهم، فحاول أهل دمشق عدم الاستهانة بما يحدث، لأن ذلك يؤدي لزيادة التجرؤ الذي ربما

(١) الذهبي: سير، ج ٩ ص ١٠٣.

(٢) الذهبي: سير، ج ٩ ص ١٠٣.

(٣) ابن عساكر: تاريخ، ج ٩ ص ١٠٣.

(٤) ابن عساكر: تاريخ، ج ٩ ص ١٠٣.

(٥) ابن عساكر: تاريخ، ج ٩ ص ١٠٣.

(٦) ابن عساكر: تاريخ، ج ٩ ص ١٠٣.

(٧) ابن عساكر: تاريخ، ج ٩ ص ١٠٣.

يصل إلى حد التدخل في بيوت أهل دمشق أنفسهم، وقد وضع أهل دمشق في هذه الثورة انهم لن يسمحوا لأي كان أن تمتد يده إلى تراثهم الخاص.

ولما استقامت الأمور للمأمون أراد أن يقر أعين أهل دمشق ويطمئنهم فأعاد لهم الإناء المسروق (القلة) عن طريق واليه على الشام عبد الله بن طاهر^(١). ويظهر أن المأمون حاول أن يكافئ أهل دمشق على ما قاموا به خلال ثورة أبي العميطر ومساعدتهم ابن بيهس في التصدي لها بعد أخذه الإذن من المأمون بمقاومتها، وتمكنه من القضاء عليها، في الوقت الذي كانت فيه نار الحرب مشتعلة بين الأخوين^(٢).

حركة ابن بيهس (٢٢٦-٢٢٧هـ / ٨٤٠-٨٤١م):

قامت بهذه الحركة القيسية بزعامه محمد بن بيهس الكلابي^(٣)، وقد وجهت هذه الحركة ضد والي العباسي أبو المغيث الرافقي^(٤)، وكان الخليفة المعتصم هو الذي عينه والياً على دمشق^(٥)، ويظهر أن هذا والي كان ظالماً متعسفاً، وقد مارس سياسة ضد أهل دمشق وعلى الأخص ضد القيسية، وكانت آخر الأعمال الوحشية التي قام بها، أنه أخذ من القيسية خمس عشرة نفساً فصلبهم، فثارت عليه القيسية بزعامه ابن بيهس^(٦).

وقد هجمت القيسية على والي ونهبوا أملاك الدولة بدمشق، وذلك رداً على ما قام به والي أبو المغيث من صلب رجال القيسية^(٧). ويظهر أن هذه الحركة قد حظيت بتأييد واسع النطاق من أهل دمشق بما في ذلك القبائل اليمانية^(٨). ومن المؤكد أن التعاطف الذي حظيت به هذه الحركة راجع إلى السبب الذي قامت من أجله وهو ردة فعل على

(١) ابن عساكر: تاريخ، ج ١ ص ٢٧٨.

(٢) ابن عساكر: تاريخ، ج ٥٥ ص ٣١-٣٢.

(٣) اليعقوبي: تاريخ، ج ٢ ص ٤٨٠.

(٤) ابن عساكر: تاريخ، ج ١٨ ص ٩٥؛ الذهبي: تاريخ، حوادث ٢٢١-٢٣٠هـ ص ٢٧-٢٨، وسير ج ١ ص ٣٧٤؛ أبو الفداء: المختصر، ج ٢ ص ٣٥.

(٥) ابن عساكر: تاريخ، ج ١٨ ص ٩٥؛ الذهبي: تاريخ، حوادث ٢٢١-٢٣٠هـ ص ٢٧-٢٨.

(٦) الذهبي: تاريخ، حوادث ٢٢١-٢٣٠هـ ص ٢٧-٢٨؛ الذهبي: سير ج ١ ص ٣٧٤.

(٧) ابن عساكر: تاريخ، ج ١٨ ص ٩٥؛ أبو الفداء: المختصر، ج ٢ ص ٣٥.

(٨) اليعقوبي: تاريخ، ج ٢ ص ٤٨٠؛ الذهبي: تاريخ، حوادث ٢٢١-٢٣٠هـ ص ٢٧-٢٨.

سياسة الوالي القاسية ومن هنا لم تتعصب اليمانية ضد القيسية وتقف في صف الوالي بل تعاطفت مع القيسية لقمع تلك السياسة الظالمة.

وحاصر الثائرون أبا المغيث حصاراً شديداً، وأثناء الحصار مات المعتصم وخلفه الوائق والأمر على ما هو عليه^(١)، فما كان من الوائق إلا اتخاذ إجراءات سريعة ضد تلك الثورة محاولة منه لإخمادها، حيث طلب من رجاء الحضاري - أحد قواده - أن يتوجه إلى دمشق ليوقف تلك الحركة^(٢)، فلما وصل رجاء الحضاري نزل بدير مرّان وكانت القيسية معسكرة بمكانها بمرج راهط، فأقام رجاء ثلاثاً ثم وجّه إلى أهل دمشق من يسألهم الرجوع إلى طاعة السلطان فامتنعوا عن ذلك، واشترطوا عزل أبي المغيث عن دمشق^(٣)، وهنا ظهرت شخصية رجاء الحضاري الذي رفض أن يملي هؤلاء الثائرون شروطهم عليه وعلى هيبة الدولة، فما كان منه إلا أن واعدتهم القتال^(٤). واتبع معهم أسلوب الحيلة في الحرب والقتال فواعدهم القتال "بدومة" يوم الاثنين وأشاع هذا الأمر في العسكر حتى تعرفه عيونهم وتنقله إليهم كما هو^(٥). ولكن رجاء كان يفكر غير ذلك وأنه أراد أن يأتيهم على حين غرة.

فلما كان يوم الأحد خرج إليهم في مجمع عسكرهم في كفر بطنا وهي لقيس، وكان جمهور عسكرهم قد خرج إلى دومة^(٦) كما كانوا يتوقعون أن المواجهة ستكون هناك، فوافاهم حلوف قد تفرقوا فوضع فيهم السيف ولكنهم لم يستسلموا بسهولة، حيث ناوشوه القتال، فقتل منهم ألفاً وخمسمائة رجل^(٧). كما قتل عدداً من الأطفال والنساء في دمشق،

(١) الذهبي: تاريخ، حوادث ٢٢١-٢٣٠هـ ص ٢٨؛ الذهبي: سير، ج ١٠ ص ٣٧٤.

(٢) ابن عساكر: تاريخ، ج ١٨ ص ٩٥؛ أبو الفداء: المختصر ج ٢ ص ٣٥.

(٣) ابن عساكر: تاريخ، ج ١٨ ص ٩٥؛ أبو الفداء: المختصر، ج ٢ ص ٣٥.

(٤) الذهبي: تاريخ حوادث ٢٢١-٢٣٠هـ ص ٢٨؛ أبو الفداء: المختصر، ج ٢ ص ٣٥.

(٥) الذهبي: تاريخ، حوادث، ص ٢٨؛ أبو الفداء: المختصر، ج ٢ ص ٣٥.

(٦) الذهبي: تاريخ، حوادث، ص ٢٨؛ أبو الفداء: المختصر، ج ٢ ص ٣٥.

(٧) ابن عساكر: تاريخ، ج ١٨ ص ٩٥؛ الذهبي: تاريخ حوادث ٢٢١-٢٣٠هـ ص ٢٨؛ أبو الفداء:

المختصر، ج ٢ ص ٣٥

وهذا الأمر أدى إلى انتفاض الناس من جميع النواحي، فقاموا بقتل عدد من رجال العباسيين الذين مع رجاء، وكان من بينهم ابن عم لرجاء قتله شخص اسمه مزيد^(١). ولكن القوات العباسية تمكنت من السيطرة على الوضع وإعادة الأمور إلى نصابها من جديد^(٢). وكان مصير "مزيد" و"ابن بيهس" أن هربا ودخلا البرية، أما مزيد فأخذه قوم من اليمن فأتوا به رجاء الذي ضرب عنقه بابن عمه^(٣)، وأما ابن بيهس فلحق بقومه بحوران^(٤).

ولا بد من القول أن هذه الحركة كانت من أكبر الحركات التي قام بها أهل دمشق، حيث وقفت القبائل اليمانية إلى جانب القبائل القيسية ضد والي الدولة العباسية أبي المغيث الذي كان ظالماً متعسفاً، وبلغت هذه الحركة من القوة أن عجز أمير دمشق عن مقاومتها وإخمادها، مما اضطره إلى طلب النجدة من الدولة العباسية خاصة بعد وقوف أهل دمشق إلى جانب القيسية^(٥).

وفي الفترة التي قامت فيها هذه الحركة كانت تدور في الشام حركة أخرى قوية وهي حركة المبرقع اليماني في فلسطين، وبما أن هاتين الحركتين قامتتا في نفس الفترة فيظهر أن هناك نوعاً من التنسيق قام بين ابن بيهس والمبرقع ويؤيد ذلك ما قام به ابن بيهس من دعوة وتأييد للمبرقع في دمشق^(٦)، ولكن يظهر أن التنسيق الذي كان بين هاتين الحركتين كان ضعيفاً ولم يصل لمستوى التكثيف والاستفادة منه، علاوة على وجود قائد ماهر ومحرك ساهم في القضاء على هاتين الحركتين ومنعهما من تحقيق أهدافهما بعد أن اتبع معهما أسلوباً تمثل في الانفراد بهما الواحدة تلو الأخرى، فهو بعد

(١) ابن عساكر: تاريخ، ج ١٨ ص ٩٥.

(٢) ابن عساكر: تاريخ، ج ١٨ ص ٩٥؛ الحنبلي: شذرات، ج ٢ ص ١٦٦.

(٣) ابن عساكر: تاريخ، ج ١٨ ص ٩٥.

(٤) ابن عساكر: تاريخ، ج ١٨ ص ٩٥.

(٥) ابن عساكر: تاريخ، ج ١٨ ص ٩٥؛ الذهبي: تاريخ حوادث ٢٢١-٢٣٠ هـ ص ٢٨.

(٦) انظر الطبري: تاريخ، ج ٧ ص ١١٧؛ مجهول: العيون، ج ٣ ص ٤٠٨؛ ابن عساكر: تاريخ، ج ٦٦

ص ١٣٧؛ الذهبي: سير، ج ١٠ ص ٣٠٢.

القضاء على حركة ابن بيهس، توجه مباشرة للإطاحة بحركة المبرقع وبالفعل تمكن من إخماد هاتين الثورتين في أقل من سنة.

ويبدو أن رجاء الحضاري قد تمكن بعد إخماد ثورة القيسية في دمشق من السيطرة على الأمور وإعادتها إلى نصابها في دمشق وتصفية المشاكل بين الدولة وأهل دمشق، ويظهر ذلك من خلال فرضه على أهل دمشق ثلاثمائة رجل جعلهم في عسكره بدلاً من الذين قتلوا على يد أهل دمشق خلال الثورة^(١)، ثم توجه جيشه وفيه هؤلاء إلى المبرقع اليماني فهزمه وقتل أصحابه وأخذ أسيراً^(٢)، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على حل المشاكل تماماً في دمشق فمن غير المعقول، أن يضم قائد لجيشه ثلاثمائة عنصر مملوئين بالحق على جيش الدولة لولا أنهم قد تخلصوا من هذه الأحقاد وصفت نفوسهم تجاه رجاء الحضاري وجيشه ليقاوتوا إلى جانبهم، وإذا لم يكن الأمر كذلك فربما خشي هؤلاء عند رفضهم أن ينتقم رجاء الحضاري منهم، وليس بعيد عنهم ما فعل بهم من قسوة خلال الثورة، حيث قتل منهم ما يزيد على ١٥٠٠ من أهل الفتنة^(٣). وهو احتمال أقرب إلى الصواب.

حركة بني امية في عهد الولاة ٢٣٠هـ / ٨٤٠م:

فقد أعلن أهل دمشق الخروج عن طاعة العباسيين بعد أن ثاروا على عاملهم عبد الرحمن القرشي، الذي أظهر العصبية في دمشق فغضبوا من تصرفاته^(٤). ويظهر أن أهل دمشق في هذه الفترة قد تلاشت العصبية فيما بينهم واتجهوا نحو تحسين أحوالهم بعد أن أضرت بهم العصبية كثيراً وتركت خلفها دماراً شمل مختلف الجوانب السياسية والاقتصادية والعمرانية. ورأى أهل دمشق أن نبذ العصبية هو أكثر تحقيقاً للفائدة لهم ولبلداهم، ومن هنا أصبح أهل دمشق بدلاً من أن يشجعوا الوالي للميل إلى

(١) ابن عساكر: تاريخ، ج ١٨ ص ٩٥.

(٢) ابن عساكر: تاريخ، ج ١٨ ص ٩٥.

(٣) ابن عساكر: تاريخ، ج ١٨ ص ٩٥؛ الذهبي: تاريخ حوادث ٢٢١-٢٣٠هـ ص ٢٨؛ أبو الفداء: المختصر، ج ٢ ص ٣٥.

(٤) ابن عساكر: تاريخ، ج ٥٦ ص ٤٦٢؛ ج ٣٤ ص ٢٨٧.

إحدى العصبيتين القيسية أو اليمانية يثرون على كل والٍ تسول له نفسه أن يميل لطرف على حساب الآخر، وتستمر ثورتهم حتى يصار إلى عزل ذلك الوالي واستبداله بوالٍ جديد. وهذا ما تم مع الوالي عبد الرحمن القرشي الذي أظهر العصبية في دمشق فما كان من أهلها إلا الثورة عليه، فلبى الواثق رغبتهم وقام بعزل عبد الرحمن القرشي عن ولاية دمشق وولى عليها مالك بن طوق التغلبي.^(١)

فتنة أبو الهيثم^(٢) ١٧٦هـ/ ٧٩٢م.

فقد هاجت العصبية بين القيسية من جهة واليمانية من جهة أخرى في زمن الرشيد، وكان على رأس القيسية يومئذ أبو الهيثم، وعامل السلطان على (دمشق) موسى بن عيسى، واقتتل الطرفان فقتلوا من بعضهم خلقاً كثيراً^(٣).

وكان سبب هذه الفتنة التي عصفت بدمشق، أن عاملاً للرشيد بسجستان قتل أخاً لأبي الهيثم، فخرج أبو الهيثم بالشام وجمع جمعاً عظيماً^(٤)، وذكر ابن الأثير أن سبب هياج هذه العصبية أن رجلاً من بني القين جاء بطعام ليطحنه في الرحى بالبقاء، فمر ببستان رجل من لحم (اليمانية) وفيه بطيخ، فتناول منه واحدة، فشتمه صاحب البطيخ، فتضاربا فسار القيني بعد أن توعد بالانتقام، فجمع اللخمي قوماً من أهل اليمن ليدافعوا عنه عند عودة خصمه، فلما عاد ضريبوه، وأعاناه قوم آخرون فقتل رجل من اليمانية، وطلبوا بدمه فاجتمعوا لذلك^(٥)، وكان على دمشق في ذلك الوقت عبد الصمد بن علي^(٦)، ويبدو أن الناس قد خشوا من تفاقم الأمور، ولذلك اجتمع أهل الفضل والمكانة والرؤساء ليصلحوا بين الحيين، فأتوا بني القين فكلموهم فأجابوهم إلى ما طلبوا، ثم أتوا اليمانية

(١) ابن عساكر: تاريخ: ج ٥٦ ص ٤٦٢؛ ج ٣٤ ص ٢٨٧.

(٢) وهو عامر بن عمار بن خزيم ت ١٨٢هـ؛ ابن عساكر: تاريخ، ج ٢٦ ص ٦٢، ص ٨٧.

(٣) انظر: الطبري: تاريخ، ج ٨ ص ٢٥١؛ ابن عساكر: تاريخ، ج ٦١ ص ١٩٠، ج ٣٦ ص ٢٤٤؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٦ ص ١٢٧؛ أبو الفداء: المختصر، ج ٢ ص ١٣؛ ابن خلدون: العبر، ج ٥ ص ٤٦٤.

(٤) ابن الأثير: الكامل، ج ٦ ص ١٢٧؛ الذهبي: تاريخ، حوادث ١٧١-١٨٠هـ ص ٤٩٥.

(٥) ابن الأثير: الكامل، ج ٦ ص ١٢٨؛ أبو الفداء: المختصر، ج ٢ ص ١٣؛

Paul. M. Cobb. White Banners, P.83.

(٦) ابن الأثير: الكامل، ج ٦ ص ١٢٨؛ ابن خلدون: العبر، ج ٥ ص ٤٦٤.

فكلموهم، فقالوا: انصرفوا عنا حتى ننظر ثم ساروا فبيتوا بني القين، فقتلوا منهم ستمائة، وقيل ثلاثمائة^(١)، ولما حدث ببني القين ما حدث استجدوا بقضاعة وسليماً فلم ينجدوهم فاستجدت قيساً فأجابوهم، وساروا معهم إلى الصواليك من أرض البلقاء، فقتلوا من اليمانية ثمانمائة، وكثر القتال بين الطرفين، والتقوا عدة مرات وراح ضحيتها الكثير^(٢)، ويظهر أن هذا الخلاف الذي نشب بين القيسية واليمانية كان على درجة كبيرة من الأهمية وينذر بخطر قادم، وهذا ما حدا بالرشيد إلى اتخاذ مجموعة من الإجراءات للتغلب عليه قبل أن يستفحل خطره، فقام بعزل والي دمشق العباسي عبد الصمد بن علي بعد أن عجز عن اتخاذ موقف حازم أو عاجل للمسألة، ثم عين والياً عباسياً آخر على دمشق وهو إبراهيم بن صالح بن علي^(٣)، وعلى الرغم من تغيير الولاة، إلا أن الخلاف بين الطرفين لم ينته بل دام ما يزيد على السنتين، وكان الطرفان التقوا بالبتنية وقتل من اليمانية نحواً من ثمان مئة ثم اصطالح الطرفان بعد شر طويل^(٤).

ووصلت أخبار الفتنة إلى بغداد وأقفلتها، وحاول إبراهيم بن صالح بن علي والي دمشق الذي كان موجوداً في بغداد في تلك الفترة أن يلقي اللوم على القبائل القيسية عند الرشيد، فدافع عنهم عبد الواحد بن بشر النصري من بني نصر فقبل عذرهم ثم رجعوا^(٥).

وكان إبراهيم بن صالح لما ذهب إلى بغداد خلف مكانه ابنه إسحاق وضم إليه رجل من كنانة وهو الهيثم بن عوف، فقام هذا فأخذ جماعة من قيس فحبسهم وأهانهم، فففر أعوانهم وحلفائهم، فتجددت الفتنة بعد أن كادت تنطفأ تهائياً، وتداعى الناس في دمشق إلى العصبية^(٦).

(١) ابن الأثير: الكامل، ج ٦ ص ١٢٨؛ ذكر أبو الفداء أنه قتل منهم ثمانمائة: المختصر، ج ٢ ص ١٣؛ ابن خلدون: العبر، ج ٥ ص ٤٦٤.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج ٦ ص ١٢٨؛ ابن خلدون: العبر، ج ٥ ص ٤٦٤؛ انظر الجومرد: هارون، ص ٣٢٥.

(٣) ابن عساكر: تاريخ، ج ٦ ص ٤٤٥؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٦ ص ١٢٨؛ ابن خلدون: العبر، ج ٥ ص ٢٦٤.

(٤) ابن الأثير: الكامل، ج ٦ ص ١٢٨.

(٥) ابن الأثير: الكامل، ج ٦ ص ١٢٩؛ انظر: الجومرد: هارون الرشيد، ص ٣٢٤-٣٢٧؛ ابن خلدون: العبر، ج ٥ ص ٤٦٤.

(٦) ابن عساكر: تاريخ، ج ٨ ص ١٠٦؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٦ ص ١٢٩؛ ابن خلدون: العبر، ج ٥ ص ٤٦٤.

ولا بد من ملاحظة أن سبب هذه الفتنة بلا شك سياسة الولاة المتمثلة في التحيز إلى فئة على حساب فئة أخرى، فإسحاق بن إبراهيم تحيز إلى جانب اليمانية ووقف معهم ضد خصومهم القيسية، وهذا ما أثار حفيظة القيسية. وكانت الفتنة الجديدة أشد من سابقتها وأكبر، حيث جرت بين الفريقين عدة حوادث كان منها، أن ثارت اليمانية بكليب بن عمرو بن الجند، وكان عنده ضيف له فقتلوه، فجاءت أم الغلام بثيابه إلى أبي الهيثام فألقته بين يديه، وكان أبو الهيثام عاقلاً متريثاً فقال لها: "انصرفي حتى ننظر فإنني لا أخبط خبط العشواء"^(١).

ويظهر أن أبا الهيثام كان يريد انتظار الأمير إبراهيم بن صالح حتى يعرض عليه أمر الدماء فإن نظر فيها كان، وإن لم ينظر فيها فإنه سيصل إلى الخليفة لينظر في مطالبه^(٢). ولما عرض أبو الهيثام الأمر على الأمير إسحاق بن إبراهيم كان هوى الأمير مع اليمانية فلم يأذن لأبي الهيثام بالدخول، وعاوده أبو الهيثام مرة أخرى، وبدلاً من أن يدخله الأمير ويرى ما عنده، حرّض اليمانية على قتله، فثار أبو الهيثام وتمكن من السيطرة على دمشق وأخرج من في السجون، ودارت بينه وبين القبائل اليمانية معارك دامية على أبواب دمشق^(٣)، وتمكن أبو الهيثام من تحقيق الانتصارات المتتالية على القبائل اليمانية، التي حاولت أن تستجمع قواها، واستجذبت كلباً وغيرهم فأمدوهم، وبلغ الخبر أبا الهيثام، فأرسل إلى المضربة فأنته الأمداد وهو يقاتل اليمانية عند باب توما فانهزمت اليمانية^(٤).

وتتابعت أحداث القتل والتدمير من قبل الجانبين مع أنها كانت تميل لصالح أبي الهيثام، ولكنها كانت تنشر الخراب والدمار في معظم مناطق دمشق وما حولها، واستجمعت اليمانية قواها ثم جاءت قرية لقيس عند دمشق فأرسل أبو الهيثام لهم الزواقل، فانهزمت اليمانية أيضاً ثم لقيهم جمع آخر فانهزموا أيضاً، ثم "أتاهم الصريخ": أدركوا

(١) ابن الأثير: الكامل، ج ٦ ص ١٢٩؛ ابن خلدون: العبر، ج ٥ ص ٤٦٥.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج ٦ ص ١٢٩؛ ابن خلدون: العبر، ج ٥ ص ٤٦٥.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج ٦ ص ١٢٩؛ ابن خلدون: العبر، ج ٥ ص ٤٦٥.

(٤) ابن الأثير: الكامل، ج ٦ ص ١٢٩؛ ابن خلدون: العبر، ج ٥ ص ٤٦٥.

باب توما، فأتوه فقاتلو اليمانية فانهزمت أيضاً، وكانت هزائم اليمانية أربع مرات في يوم واحد^(١).

وخلال هذه الأحداث أرسل الأمير إسحاق إلى أبي الهيثام يأمره بالكف، ففعل ثم أرسل إلى اليمانية أنني قد كففته عنكم، فدونكم الرجل فهو غار^(٢)، فأتوه من باب شرقي متسللين، فأتى "الصريخ" أبا الهيثام، فركب في فوارس من أهله فقاتلهم فهزمهم^(٣)، ثم بلغ أبا الهيثام جمع آخر لهم على باب توما فأتاهم فهزمهم أيضاً، فجمعت اليمانية أهل الأردن والجولان وكلباً وغيرهم، وجاء الخبر إلى أبي الهيثام، فأرسل من يأتيه بخبرهم فلم يقف لهم على خبر، فجاءوا من جهة كان آمناً منها لبناء فيها^(٤)، ولكن أصحاب أبي الهيثام سرعان ما التفوا حولهم من الخلف وهزموهم^(٥).

وفي صفر من نفس العام جمع اسحاق جنوداً وعسكروا عند قصر الحجاج، وأعلم أبو الهيثام أصحابه بذلك فجاءته القين وغيرهم، واجتمعت اليمن إلى اسحاق، فالتقى بعض العسكر فاقتتلوا فانهزمت اليمانية وقتل خلق منهم، ونهب أصحاب أبي الهيثام بعض داريا وأحرقوا فيها ورجعوا ثم اقتتلوا غير مرة فانهزمت اليمانية^(٦)، وبعد هذه الانتصارات المتلاحقة التي حققها أبو الهيثام أرسل له مجموعة من الأشخاص يطلبون منه الأمان فأمّنهم^(٧).

ولم يكتف أبو الهيثام بالانتصارات التي حققها على اليمانية، بل قام بإجراءات صارمة بحق اليمانية، حيث أمر بنهب قرى اليمانية بنواحي دمشق وأحرقها^(٨)، وكان هذا الإجراء المرعب من قبل أبي الهيثام كفيلاً بأن تسارع اليمانية في المناطق القريبة

(١) ابن الأثير: الكامل، ج ٦ ص ١٢٩.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج ٦ ص ١٣٠؛ ابن خلدون: العبر، ج ٥ ص ٤٦٥.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج ٦ ص ١٣٠؛ ابن خلدون: العبر، ج ٥ ص ٤٦٥.

(٤) ابن الأثير: الكامل، ج ٦ ص ١٣٠.

(٥) ابن الأثير: الكامل، ج ٦ ص ١٣٠؛ ابن خلدون: العبر، ج ٥ ص ٤٦٥.

(٦) ابن الأثير: الكامل، ج ٦ ص ١٣١.

(٧) ابن الأثير: الكامل، ج ٦ ص ١٣١.

(٨) ابن الأثير: الكامل، ج ٦ ص ١٣١؛ ابن خلدون: العبر، ج ٥ ص ٤٦٥-٤٦٦.

أطلب الأمان والعفو، فأمنهم جميعاً فسكن الناس وأمنوا^(١)، ولما أمن الناس فرّق أبو الهيثم أصحابه. وبقي في نجر يسير من أهل دمشق، فطمع فيه الأمير إسحاق، وبذل الأموال للجنود ليوافق أبا الهيثم، فأرسل "العذافر السكسكي" في جمع إلى أبي الهيثم فقاتلوه، فأنهزم العذافر بعد أن دامت الحرب من الظهر وحتى المساء^(٢).

وعجيب أمر الأمير إسحاق، فبدلاً من أن يحاول تهدئة الأمور بين القيسية واليمانية، يحول الأمر إلى مسألة شخصية وعداء مدعم بالكرهية والحقد على شخص أبي الهيثم، فقام بقيادة الجيوش بنفسه وحاول الهجوم على أصحاب أبي الهيثم في الليل، فاستمد أبو الهيثم أصحابه وأصبحوا من الغد، فاقتتلوا مع الجند وكان الجند في اثني عشر ألفاً وجاءتهم اليمانية، لكن أبي الهيثم أصر بمن معه من عدد قليل على القتال، فقاتل أصحاب إسحاق من اليمانية حتى أزالوهم عن باب الجابية^(٣).

وخلال هذه الفترة حاول الأمير إسحاق أن يشتت جهود أبي الهيثم ويصرف نظره خارج دمشق، فحرض جمع من أهل حمص على الإغارة على قرية لأبي الهيثم، فأرسل أبو الهيثم طائفة من أصحابه إليهم فقاتلوهم فأنهزم أهل حمص، وقتل منهم بشراً كثيراً، وأحرقوا قرى في الغوطة لليمانية، كما أحرقوا "دارياً"^(٤).

ويظهر أن هذه الفتنة أزعجت الرشيد فحاول أن يخمدها بمختلف الوسائل، فما كان منه إلا أن أرسل السندي بن شاهك^(٥) في جنود من عنده، وقبل أن يصل السندي لدمشق، بادرت إليه اليمانية تغريه بأبي الهيثم الذي سارع إلى إرسال رسالة للسندي يخبره فيها أنه على الطاعة^(٦)، ولما دخل السندي دمشق، كان إسحاق في دار الحجاج، فلما كان الغد أرسل السندي قائداً له في ثلاثة آلاف لمواجهة أبي الهيثم، فأخرج له أبو الهيثم

(١) ابن الأثير: الكامل، ج ٦ ص ١٣١؛ ابن خلدون: العبر، ج ٥ ص ٤٦٦.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج ٦ ص ١٣١؛ ابن خلدون: العبر، ج ٥ ص ٤٦٦.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج ٦ ص ١٣٢؛ ابن خلدون: العبر، ج ٥ ص ٤٦٦.

(٤) ابن الأثير: الكامل، ج ٦ ص ١٣٢؛ ابن خلدون: العبر، ج ٥ ص ٤٦٦.

(٥) السندي بن شاهك، أبو نصر، مولى المنصور، ذكر أنه هدم سور دمشق سنة ١٧٦هـ، ت سنة

٢٠٤هـ؛ ابن منظور: مختصر، ج ١٠ ص ٢١٠.

(٦) ابن الأثير: الكامل، ج ٦ ص ١٣٢؛ ابن خلدون: العبر، ج ٥ ص ٤٦٦؛ الجومرد: هارون، ص ٣٢٧.

ألفاً، ولما رأى قائد السندي أصحاب أبي الهيثام رجع إلى السندي وطلب منه أن يعطي أبي الهيثام وأصحابه ما يريدون^(١)، ويبدو أن قائد السندي قد سمع عن أصحاب أبي الهيثام ولمس منهم شجاعة منقطعة النظير وتفانياً في الدفاع عن أنفسهم حتى أنه وصفهم في أنهم، "قوم الموت أحب إليهم من الحياة"^(٢).

وحاول السندي ان يحل الأمور دون حرب فصالح أبا الهيثام فأمن أهل دمشق^(٣). ولما عقد الصلح سار أبو الهيثام إلى حوران وأقام السندي في دمشق ثلاثة أيام، ثم قدم موسى بن عيسى العباسي والياً على دمشق، فأقام فيها عشرين يوماً، ثم حاول أن يغتتم غرة أبي الهيثام وهو في جماعة قليلة من أصحابه بعد الصلح، فأرسل من يأتيه به، فكبسوا داره، لكن أبا الهيثام بحسه الحربي نجا منهم، وليس هذا فحسب بل انهزم الجند الذين قدموا للإيقاع به^(٤)، ولما سمعت خيل أبي الهيثام بما جرى جاءت من كل ناحية، فقصد بصرى، وفي طريقة قاتل جنود موسى عند طرف اللجاة فقتل منهم وانهزموا ومضى أبو الهيثام^(٥).

أما عن نهاية الفتنة فقد ذكر ابن الأثير: "أن أبا الهيثام بعد أن هزم جند موسى، حضر إليه في الصباح خمسة فوارس فكلموه فأوصى أصحابه بما أراد وتركهم ومضى، وكان هؤلاء نفر جاءوه من عند أخيه يأمره بالكف ففعل ومضى معهم، وأمر أصحابه بالتفرق فانتهت الفتنة"^(٦).

ويبدو أن اليمانية لم يقوموا بدورهم على أكمل وجه في حرب أبي الهيثام وهذا ما جعل أحد الشعراء اليمانيين يلوم قومه اليمانية على التقصير في حرب أبي الهيثام بقوله^(٧):

(١) ابن الأثير: الكامل، ج ٦ ص ١٣٢؛ ابن خلدون: العبر، ج ٥ ص ٤٦٦.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج ٦ ص ١٣٢؛ ابن خلدون: العبر ج ٥ ص ٤٤٦.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج ٦ ص ١٣٢؛

Paul. M. Cobb. White Banners, P. 86

(٤) ابن الأثير: الكامل، ج ٦ ص ١٣٢-١٣٣؛ ابن خلدون: العبر: ج ٥ ص ٤٦٦.

(٥) ابن الأثير: الكامل، ج ٦ ص ١٣٢-١٣٣؛ ابن خلدون: العبر: ج ٥ ص ٤٦٦.

(٦) ابن الأثير: الكامل، ج ٦ ص ١٣٣.

(٧) ابن عساكر: تاريخ، ج ٥٦ ص ٢٧٢-٢٧٣.

أَلَوْمُ عَلَى الْخُذْلَانِ قَوْنِي وَأَنَا أَخْصُ بِلَوْمِي الْقَيْنَ وَالْحَيَّ مِنْ كَلْبِ
فَلَمَّا دَعَوْنَا الْحَيَّ كَلْبًا لِنَصْرِنَا تَوَكَّلُوا وَقَالُوا أَنْتُمْ إِخْوََةُ الذَّنْبِ
وكان للشعراء دور كبير في إثارة الفتنة وتشجيع من يتفانى في الدفاع عن قومه،
فيمدحونه ويمجدونه، ومثال ذلك ما ذكر في بلاء محمد الكناني الليثي^(١):

قَدْ عَلِمْتُ قَيْسُ بَنِي عَيْلَانَ أَنَّي حَمَلْتُ عَلَى الْعُتْسِيِّ لَمْ أَتَحَرَّفْ
وَطَاعَنْتُ يَوْمَ السُّكُسَيْنِ مُعَلِّمًا قَابَتِ بِرُمُحٍ فِي يَدِي مُتَقَصِّفٌ

وليس هذا فحسب بل أن الشعراء كانوا يحرضون قومهم على عدم المصالحة والتفاني
في القتال حتى الموت ويبدو ذلك من خلال ما قاله المعتصم بن عصمة الكلبي^(٢):

خَوْضُوا إِلَى الْمَوْتِ بَنِي قَحْطَانَ بِالرَّمْيِ وَبِالسَّيْفِ وَبِالطَّعَانِ
جُزُوا الرِّقَابَ مِنْ بَنِي عَيْلَانَ فَأَمْسِي مَا قَطَعْتُمْ لِسَانِي

ولا بد من القول: أنه كان للشعراء دور كبير في إثارة الفتنة من جديد وانتشارها وذلك
من خلال ما نظموه من شعر يرثون فيه قتلاهم، ويحرضون أقوامهم على الأخذ
بثأرهم^(٣). ويظهر أن الكثير من المساجلات الشعرية التي قامت بين الطرفين، أعادت
للعصبية قوتها وعنفوانها، من حيث التفاخر بالأنساب، والهجاء وإثارة النعرات القديمة،
فقد قال أحد المربين في يوم داريا مفاخرًا بقومه^(٤):

كَأَنَّا يَوْمَ دَارِيَا أَسْوَدُ تُدْفِعُ عَنْ مَسَاكِنِهَا أَسْوَدًا
تَرَكْنَا أَهْلَ دَارِيَا رَمِيمًا حُطَّامًا فِي مَنَازِلِهِمْ هُمُودًا
إِذْ غَضَبَ إِلَهُ عَلَى أَنْاسٍ دَعَا قَيْسًا فَصَيَّرَهُمْ خُمُودًا

(١) ابن عساكر: تاريخ، ج ٥٦ ص ٣٤٤.

(٢) ابن عساكر: تاريخ، ج ٥٦ ص ٣٣٧.

(٣) انظر ابن عساكر: تاريخ، ج ٩ ص ١٠٥، ج ٢٢ ص ٤٣٣؛ ج ٦٢ ص ٢٨، ج ٢١٢ ص ٢٣٥-٢٣٨،
ج ٢٩ ص ٦٤، ج ٢٥ ص ٢٩١، ج ١٦ ص ٣٣٥، ج ٣٦ ص ٢٣٢، ج ٣٢ ص ١٨٠-١٨١.

(٤) ابن عساكر: تاريخ، ج ٤٩ ص ٤٩٩.

ورد عليه عثمان بن مرة الخولاني بقوله^(١):

كَذَبْتَ لَقَدْ تَنَبَّيْتَ بِكُلِّ أَمْرٍ يَسُوءُكَ فَاسْتَمِعْ مِنِّي الْوَعِيدَا
سَأَجْلُبُ نَحْوَكُمْ خِيَلًا جِيَادَا وَفَتِيَاتَا تَخَالُهُمُ الْأُسُودَا
مَنَى طَمَعَتِ بَنُو غِيْلَانَ فِينَا فَطَمَعُ أَوْ تُرَجِّي أَنْ نَسُودَا

ومهما يكن من أمر فقد انتهت فتنة من أعنف الفتن التي عصفت بدمشق والشام كله، وقد أفلقت هذه الفتنة وأرقت مضجع الرشيد، وقد بلغ من اشتداد أمرها وإزعاجها الرشيد، أنه سار بنفسه قاصداً الشام، ولما سمع بانتهائها، مضى إلى الثغر^(٢).

- تجدد العصية والفتنة في دمشق والشام سنة ١٨٠هـ/٧٩٦م.

يظهر أن العصية في الشام وعلى الأخص في دمشق - بين النزارية واليمانية قد عادت لما كانت عليه سنة ١٨٠هـ/٧٩٦م وذلك بعد أقل من أربع سنوات على شوبها لأول مرة، واتسع نطاقها لتشمل مناطق أوسع، حيث ضمت علاوة على دمشق كلاً من حمص والأردن وفلسطين^(٣). ويرى الدوري أن تكرار الاضطرابات القبلية وبروزها من جديد وبقوة ربما كان بسبب إهمال الرشيد لها وعدم تعامله معها بجدية وقد هدف الرشيد من ذلك إضعاف قوة خصومه^(٤).

ولكن يظهر أن الأمور كادت أن تخرج عن السيطرة فقد كانت هذه الفتنة أقوى من كل الفتن التي سبقتها حيث أفلقت الرشيد أكثر من أي ثورة أخرى ويبدو ذلك واضحاً من خلال إصراره على المسير إليها بنفسه، أو يسير لها وزيره وسهمه النقيب جعفر بن يحيى البرمكي، فأختار "جعفر" أن يخرج لفض الفتنة بدلاً من خروج الخليفة بعد أن قال له الخليفة: "إما أن تخرج أنت أو أخرج أنا، فقال جعفر بل أقيك بنفسي"^(٥).

(١) انظر ابن عساكر: تاريخ، ج ٩ ص ١٠٥، ج ٢٢ ص ٤٣٣، ج ٦٢ ص ٢٨.

(٢) اليعقوبي: تاريخ، ج ٢ ص ٤١٠.

(٣) الجهشيارى: الوزراء، ص ٢٠٨؛ الطبري: تاريخ، ج ٨ ص ٢٦٢.

(٤) الدوري: العصر العباسي، ص ١١٣.

(٥) الجهشيارى: الوزراء، ص ٢٠٨؛ الطبري: تاريخ، ج ٨ ص ٢٦٢؛ الصفيدي: تحفة، قسم ١

ص ٢٢٧.

فشخص جعفر إلى دمشق بعد أن عقد له الرشيد على الشام^(١)، وكان بصحبته جلة قواده والكرام والسلاح، وجعل على سُرطة العباس بن محمد بن المسيب بن زهير، وعلى حرسه شبيب بن حميد بن قحطبة^(٢)، فلما أتى أهل الفتنة أصلح بينهم، وقتل زواقيلم والمتلصصة منهم، ولم يدع بها رمحاً ولا فرساً، فعادوا إلى الأمن والطمأنينة، وأطفأ تلك الثائرة^(٣)، ويظهر أن جعفر أعد خطة لإنهاء تلك العصبية، تمثلت في محاولته التضييق على جذور الفتنة وأصحابها ومثيريها، فما كان منه إلا أن قام بمصادرة الأسلحة من الطرفين تخفيفاً لحدة الأزمة، وكان قبل ذلك قد قام بقتل أصحاب الفتن والمشاكل، ونجح جعفر في سياسته بإطفاء نار الفتنة والإصلاح بين أطرافها، ثم خطب في الطرفين خطبة جامعة شملت معاني الوحدة والألفة، ومخاطر التشردم والخصام والفتنة والتفجير منها، والحث على الجماعة^(٤).

ومدح الشعراء جعفر لنجاحه في إطفاء الفتنة ونظموا فيه الشعر كثيراً، وكان من أبرز من مدحه، الشاعر منصور النمرى الذي وصف خروجه وتمكنه من القضاء على الفتنة وتحقيق الأمن والطمأنينة^(٥)، وكذلك الشاعر مسلم بن الوليد الذي وصف ما فعله جعفر بقوله^(٦):

تَعَارَفَتِ الْأَحْيَاءُ وَأَتَلَفَتِ إِذَا آلَفَتْهُمْ إِلَى مَعْرُوفِهِ السُّبُلُ^(٧)

ولم يعد جعفر بن يحيى لبغداد حتى خمدت الثورة وعادت الطمأنينة إلى النفوس، واستخلف عليها عيسى العكي^(٨)، وحاول جعفر تأكيد الصلح بين الطرفين، فما كان منه إلا اصطحاب رؤساء القبائل من الطرفين إلى بغداد بعد أن عفا عنهم، وهناك استقبله

(١) الطبري: تاريخ، ج ٨ ص ٢٦٢.

(٢) المصدر نفسه، ج ٨ ص ٢٦٢.

(٣) المصدر نفسه، ج ٨ ص ٢٦٢؛ الصفي: تحفة، قسم ١ ص ٢٢٧.

(٤) الجهشيارى: الوزراء، ص ٢٠٩.

(٥) الطبري: تاريخ، ج ٨ ص ٢٦٢.

(٦) الجهشيارى: الوزراء، ص ٢٠٩.

(٧) الجهشيارى: الوزراء، ص ٢٠٩.

(٨) الطبري: تاريخ، ج ٨ ص ٢٦٣.

الرشيد بفرح غامر^(١)، ويبدو أن جعفر اصطحب معه رؤساء القبائل، ليؤكد الصلح أمام الخليفة وبمباركة منه، وحتى يتمكن من اصطناع هؤلاء الرؤساء لخدمة الدولة.

- الفتنة بين المضرية واليمانية سنة ١٨٧هـ/٨٠٢م:

فقد ذكرت المصادر أن سنة ١٨٧هـ/٨٠٢م شهدت هياج العصبية في دمشق بين المضرية واليمانية وجرت بين الطرفين وقعة مهولة ظهرت فيها اليمانية، وقتل نحواً من خمسمائة نفس من المضرية^(٢)، وكان الوالي يومئذ شعيب بن خازم بن خزيمة الذي عزل بعد الفتنة واستبدل بـ محمد بن منصور الذي أرسله الرشيد لإصلاح الفتنة^(٣).

وذكر ابن عساكر أن سبب هذه الفتنة هو تحيز الوالي شعيب بن خازم وميله إلى جانب اليمانية ودعمهم ضد المضرية، وكان أهل دمشق يشكون من سياسة هذا الوالي الواضحة التعصب فما كان منهم إلا أن شكوه إلى الخليفة هارون الرشيد، الذي بعث من قبله بـ محمد بن منصور بن زياد، وأوصاه بحل المشكلة بين الطرفين^(٤).

ويظهر أن الرشيد كان جاداً في فك عقد الفتنة وحل المشكلة بين الطرفين، فوضع خطة لحل الفتنة أوصى مبعوثه بتطبيقها وتتضمن أن يدفع دية من قتلوا في الفتنة من بيت المال، وأن يعفو عن الفريقين ويسترضيهم^(٥)، وربما حاول الرشيد من خلال ذلك أن يبدأ أهل دمشق صفحة جديدة خالية من المشاكل والفتن التي لم تهدأ، وكانت أخبارها تصل إلى مسامع الخليفة بين اللحظة والأخرى فتؤرق مضجعه.

وكان الرشيد أرسل مع مبعوثه، مجموعة من الأشخاص لمساعدته وهم جماعة من خدم الخليفة وحرسه وقواده من أهل الشام من أهل الفريقين بعد أن استخلفهم على المناصب.

(١) الطبري: تاريخ، ج ٨ ص ٢٦٣-٢٦٤.

(٢) ابن عساكر: تاريخ، ج ٢٣ ص ٨٨، ج ٥٦ ص ٣٤-٣٥؛ الذهبي: تاريخ، حوادث ١٨١-١٩٠هـ ص ٣٦؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج ٩ ص ١٣٧.

(٣) ابن عساكر: تاريخ، ج ٥٦ ص ٣٤ وج ٢٣ ص ٨٨؛ المصدر نفسه، حوادث ١٨١-١٩٠هـ ص ٣٦ وص ١٨٥.

(٤) ابن عساكر: تاريخ، ج ٢٣ ص ٨٨.

(٥) ابن عساكر: تاريخ، ج ٢٣ ص ٨٨.

والاجتهاد والسعي لإطفاء نار الفتنة^(١)، وفور وصول محمد بن منصور، قام باتخاذ الإجراءات الملائمة التي تتناسب مع كونه مبعوث من الخليفة، فقام بعزل شعيب بن خازم ولم يول أحداً بل طلب من الفريقين أن يختاروا لأنفسهم من يحبون ويرضون^(٢)، كما أمر وحسب وصايا الخليفة بدفع فداء من قتل في الفتنة من الطرفين من بيت المال^(٣).

وبالفعل تمكن محمد بن منصور من إصلاح الأمر ثم عاد إلى بغداد واصطحب معه خلال عودته من وجوه دمشق من كلا الطرفين نحواً من عشرين رجلاً^(٤)، ولعل هؤلاء الأشخاص أحضرهم محمد بن منصور ليؤكدوا الصلح أمام الخليفة هارون الذي تابع بنفسه أخبار الفتنة وحرص على إخماد نيرانها، أو لعلهم أحضروا كرهائن لضمان استمرار الصلح وهذا أقرب للواقع.

وكان نصيب والي دمشق المتعصب بعد قيام هذه الثورة العزل، واستبداله بـ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الذي ضم إليه رجلاً لمساعدته في إدارة أمور دمشق وهو ابن أبي خالد المروزيادي، وتم وصله بـ خمسة آلاف دينار^(٥).

ومع انتهاء هذه الفتنة لا بد من القول أن التعصب أو الميل إلى فريق ضد الآخر لم يكن سبباً في الفتن فحسب بل كان السبب الأساس لقيام العديد من الفتن والثورات ومنها هذه الثورة، كما أن التعصب أو الميل إلى فريق ضد الآخر لم يكن محموداً حتى من قبل الدولة التي غالباً ما كانت تلجأ لخلع ذلك الوالي المتعصب، واستبداله بوالٍ أكثر إتزاناً على سبيل الإصلاح وإطفاء نار الغضب التي تجتاح الفريق الذي يتعصب الوالي ضده. ولم تخدم العصبية القبلية في الشام بعد سقوط الأمويين، وعلى الرغم من أنه ربما كان في وجودها فائدة للعباسيين لأنها تضعف كيان أعدائهم أهل الشام، ولكنهم في الوقت نفسه لم يرتاحوا إليها تماماً لأنها كانت تخل بسلطة وأمن الدولة وتهدد المواصلات

(١) ابن عساکر: تاريخ، ج ٢٣ ص ٨٩.

(٢) ابن عساکر: تاريخ، ج ٢٣ ص ٨٩.

(٣) ابن عساکر: تاريخ، ج ٢٣ ص ٨٨.

(٤) ابن عساکر: تاريخ، ج ٢٣ ص ٨٨.

(٥) ابن عساکر: تاريخ، ج ٢٣ ص ٨٩.

والتجارة^(١). وهو ما جعل الخلفاء العباسيون يفكرون جدياً بإيجاد حل جذري لهذه العصبية^(٢).

مشاركة ودعم الامويين للحركات خارج دمشق:

فبعد أن خرجت الخلافة من حاضرة الشام "دمشق" وانتقلت بعيداً إلى العراق، تراجع الدور السياسي لإقليم الشام، وهذا بالطبع ولد لدى الشاميين شعوراً بالأسى على ضياع الامتيازات التي كانت ممنوحة لهم بسبب اضطلاعهم بتلك المسؤوليات الجسام.

وبعد أن استيقظ أهل دمشق على واقع جديد مزعج، انتفضوا وحاولوا التعبير عن رفضهم له، ورغبتهم المليئة بالأمل في إعادة الأمور إلى ما كانت عليه قبل قيام الدولة العباسية، فما كان منهم إلا أن قاموا بالثورات المتعددة لتحقيق أحلامهم وأمانهم، ولم يكتفوا بالقيام بالثورات بأنفسهم بل إنهم حرصوا الأماكن الأخرى على القيام بالثورات ودعمهم، وكانوا يؤيدون كل من تسول له نفسه أن يثور، وكثيراً ما قدموا الدعم المادي بالأسلحة والجنود للثوار في الأماكن الأخرى.

فقد ساند أهل دمشق الحركة التي قام بها حبيب بن مرة المري ١٣٢هـ/ ٧٥٠م في منطقة البلقاء والبثنية وحوران خوفاً على نفسه وقومه، لأن العباسيين كانوا يلاحقون القيسيين الذين قاوموهم عند دخولهم، وحظيت هذه الحركة بمساندة من أهل دمشق، انتقاماً من العباسيين الذين قربوا القبائل اليمانية، وابتعدوا القبائل القيسية^(٣)، ولكن هذه الحركة فشلت وقتل قائدها، وكان من الممكن أن تحقق نتائج أفضل لو استمرت لمدة أطول خاصة إذا علمنا أن هناك عدة ثورات كانت قد نشبت ضد العباسيين في هذه الفترة وعلى رأسها ثورة أبي محمد السفيناني^(٤).

ولما قامت ثورة المبرقع اليماني (أبو حرب) في فلسطين خلال فترة المعتصم ٢٢٧هـ/ ٧٤١م، وكان أغلب عناصر هذه الثورة من الفلاحين، الذين وجدوا في الثورة

(١) الدوري: العصر العباسي، ص ١١٢-١١٣.

(٢) الدوري: العصر العباسي، ص ١١٢-١١٣.

(٣) انظر الأزدي: تاريخ الموصل، ص ١٤٤.

(٤) انظر البلاتري: أنساب، ج ٣ ص ١٦٦-١٧٠؛ أنطوري: تاريخ، ج ٧ ص ٤٤٣؛ ابن العديم: زبدة، ج ١ ص ٥٤.

تعبيراً عن الأحوال الاقتصادية السيئة التي يعانون منها^(١)، ولاقت تأييداً واستجابة من قبل مجموعة من رؤساء وزرعماء دمشق وعلى رأسهم رجل يقال له ابن بيهس الكلابي الذي كان مطاعاً في أهل اليمن كما أيدها عدد آخر من زعماء دمشق من قبائل مختلفة.

ويبدو أن دمشق وأهلها تأثروا بهذا الموقف وانعكست آثاره سلباً على دمشق، فقد وجّه المعتصم لهم رجاء الحضاري في جماعة كبيرة فوَأَقَعَهُمْ في دمشق وَقَتَلَ من اصحاب ابن بيهس وصاحبيه خلق كثير^(٢)، وبالتالي انفضّ تأييد أهل دمشق للمبرقع وانكششت دائرة تأثيره، حيث سار رجاء الحضاري بعد ذلك إلى أبي حرب فهاجمه في الرملة وهزمه بعد أن قتل من أصحابه ٢٠ ألفاً، ثم أسره وحمله معه إلى سامراء حيث جعل إلى جانب ابن بيهس في المطبق^(٣).

مشاركة أهل دمشق في قمع الثورات التي قامت ضد العباسيين:

على الرغم من أن العباسيين كانوا حذرين من أهل الشام عامة وأهل دمشق خاصة، في أنهم أصحاب ولاء أموي، لكن هذا لا يعني أن العباسيين فقدوا الثقة بكفاءة وبراعة أهل الشام القتالية "وأصالة نسبهم العربي"، واستطاع بعض القادة العباسيين الذين تولوا ولاية دمشق أن يحصلوا على ثقة كبيرة من أهل الشام عامة ودمشق خاصة. بل أصبح لهم مكانة رفيعة في نفوس أهل الشام، وهذا ينطبق على الفضل بن صالح - الذي كان والياً على الشام في عهد المنصور^(٤) وكذلك الحال بالنسبة لـ عبد الملك بن صالح^(٥). وأمام هذا الوضع كان أهل الشام مستعدين لمساعدته في تقديم الخدمات اللازمة أو تنفيذ ما يكلفون به، عند الاستعانة بهم.

(١) الطبري: تاريخ، ج ٧ ص ١١٧؛ مجهول: العيون، ج ٣ ص ٤٠٨؛ ابن عساكر: تاريخ، ج ٦٦ ص ١٣٧؛ الذهبي: سير، ج ١٠ ص ٣٠٢.

(٢) الطبري: تاريخ، ج ٧ ص ١١٧.

(٣) الطبري: تاريخ، ج ٧ ص ١١٧؛ ابن عساكر: تاريخ، ج ٦٦ ص ١٣٧.

(٤) ابن عساكر: تاريخ، ج ٤٨ ص ٣١٨؛ ابن منظور: مختصر، ج ٢٠ ص ٢٧٧.

(٥) الطبري: تاريخ، ج ٨ ص ٤٢٤.

فعندما وثبت الثورة في صعيد مصر بقيادة دحية بن مصعب بن الأصيغ بن عبد العزيز ابن مروان الذي ثار انتقاماً لما قام به العباسيون من مذابح بحق أقاربه الأمويين^(١)، وتمكن من التغلب على صعيد مصر، وعجز والي مصر آنذاك إبراهيم بن صالح، عن إخماد فتنته^(٢)، فصرفه المهدي وعين بدلاً عنه موسى بن مصعب الخثعمي الذي لم يتمكن بدوره من القضاء على ثورة دحية بل إن أصحاب دحية قتلوا والي موسى بن مصعب^(٣). فما كان من المهدي إلا أن ولي الفضل بن صالح مصر، فقدمها الفضل وهي تضطرم من الفتن، وكان بصحبته لما قدم عسكر من الجند عظيم. أتى بهم من الشام، وكان منهم عدد كبير من أهل دمشق عليهم عاصم بن محمد بن سعيد^(٤). وكان المهدي قد توفي سنة ١٦٩هـ / وبويع موسى بن المهدي الذي أقر بدوره الفضل على ولاية مضر^(٥)، وتمكن الفضل من القضاء على ثورة دحية بن مصعب بعد أن أرهقت مصر وأفلقت الخلافة في بغداد^(٦). وكان لمساهمة أهل الشام ودمشق الأثر الأكبر في القضاء على هذه الثورة).

ولما وثب أهل حمص بعاملهم أبي المغيث موسى بن إبراهيم الرافقي بسبب قتله لبعض رؤوسائهم^(٧)، فأخرجوه وقتلوا عدداً من أصحابه، فولّى مكانه محمد بن عبدوية الأنباري فأساء إليهم وعسف بهم فوثبوا به أيضاً^(٨). فأمره المتوكل بجند من دمشق والرملة فظفر بهم وقتل منهم جماعة، وأخرج النصارى منها وهدم كنائسهم وادخل منها بيعة في الجامع كانت تجاوره^(٩). ويظهر أن المتوكل استعان بأهل دمشق لتنفيذ إرادة الدولة على أهل حمص وإجبارهم على الخضوع لما ترغب به الدولة وعدم تمكينهم من

(١) الكندي: ولاة، ص ١٤٧.

(٢) الكندي: ولاة، ص ١٤٧.

(٣) الكندي: ولاة، ص ١٥١.

(٤) الكندي: ولاة، ص ١٥٢.

(٥) الكندي: ولاة، ص ١٥٣؛ انظر ياقوت: معجم البلدان، ج ١ ص ١١٣.

(٦) ابن خلدون: العبر، ج ٥ ص ٥٨٥-٥٨٦.

(٧) الطبري: تاريخ، ج ٩ ص ١٩٩؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٧ ص ٧٦.

(٨) الطبري: تاريخ، ج ٩ ص ١٩٩؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٧ ص ٧٦.

(٩) ابن خلدون: العبر، ج ٥ ص ٥٨٥-٥٨٦.

أن يملوا على الدولة ما يريدون، ويبدو أن المتوكل كانت لديه ثقة ما بدمشق وأهلها ولذلك جعل لهم دوراً في إخماد هذه الفتنة.

الخاتمة:

لم يتورع العباسيون عن القيام بأعمال كثيرة ضد الامويين، وتعاملوا مع مناطق المعارضة وساكنيها بقسوة، ومثال ذلك عندما دخل عبد الله بن علي دمشق، حيث تعامل مع أهلها بقسوة، وربما هذا حال المنتصر دوماً، ولكن عبد الله بن علي بالغ كثيراً إلى الحد الذي بلغ فيه التعدي ليس على البشر الأحياء فقط بل والأموات والعبث بقبورهم.

ولم يكتف الولاء بممارستهم للقسوة والعنف تجاه أهل دمشق بل إن أغلب الولاة انتهج سياسة سيئة تمثلت في الميل إلى عنصر دون الآخر، ومحاباة قبيلة ودعمها ضد قبيلة أخرى. فقد أخذ ولاية الشام أيام خلفاء بني العباس الأوائل يناصرون القبائل اليمينية في الشام كلما نشب نزاع بين الفريقين. القبليين قيس ويمن دون تمحيص في الأمر أو اهتمام بإحقاق الحق وإنصاف المظلوم وتهذئة النزاع وإطفاء نار الفتن، اللهم إلا والي إبراهيم بن المهدي الهاشمي أخو الرشيد الذي اتبع سياسة متوازنة وحكيمة تجاه الطرفين تمكن من خلالها من الإمساك بزمام الأمور والقضاء على الفتن بين الطرفين ويظهر أن ميل الولاة لطرف على حساب الآخر، وممارستهم القاسية والعنيفة تجاه السكان في دمشق ساهم بصورة كبيرة في سوء الأحوال الاقتصادية في مختلف المجالات، والذي كان له دور مميز في شعور الناس بالإحباط والسعي المتكرر لتغيير الأوضاع التي يعانون منها كلما سنحت لهم الظروف بذلك، ووصل الحد بدمشق أن أصبحت أقرب إلى الفقر في فترة من الفترات، بعد أن كانت جنة خضراء، وهذا بسبب سياسة الولاة في التعدي على مقدرات دمشق ومواردها.

يظهر أن بقايا الامويين اتبعوا أسلوباً في المقاومة الاقتصادية، وهو عدم الاهتمام بالزراعة والأرض، ومع أن هذا الأسلوب كان يضر بهم، ولكنهم كانوا يعلمون أنه أكثر ضرراً بالدولة، طالما أنه يقلل الخراج ويساهم في شح المنتجات، وهذا أن دل على شيء فإنما يدل على أن بني أمية قاوموا الدولة بمختلف الأساليب المتاحة لهم لعلهم يضعفون الدولة العباسية وتعود لدمشق مكانتها الرفيعة التي طالما تمتعت بها.

وإذا كان أغلب ولاة دمشق مالوا إلى سياسة القسوة والعنف مع أهل دمشق، فيظهر أن تلك السياسة كانت نابعة من نظرة السخط التي ينظرها خلفاء بني العباس للشام عموماً ولبنی أمية خصوصاً، وما يكونه لأهل الشام من كره في أنهم دعموا وأحبوا الأمويين ووقفوا إلى جانبهم، وربطوا مصلحتهم بهم، ويبدو ذلك واضحاً من خلال النظرة التي ذكرها المأمون لأهل الشام حين اعترضه رجل منهم مراراً وطلب منه أن ينظر لعرب الشام كما ينظر لعجم خراسان. ويظهر من ذلك مدى السخط الذي كان في نفس المأمون على أهل الشام وأنه لا يثق بولايتهم، ولذلك فهو يعاملهم ويفضل غيرهم عليهم. حاول بني أمية مراراً الاستفادة من الظروف التي ترافق قيام حركة أخرى في منطقة من مناطق الشام لتحقيق أكبر قدر من المكاسب، فكان أهل الشام يستغلون فترة قيام ثورة في مكان ما ثم يسارعون لإعلان خروجهم على الدولة، لتحقيق مكاسب مادية في كثير من الأحيان، فقد خرج من بدمشق عن الطاعة بعد أن خرج عبد الله إلى قنسرين لإخماد حركة أبي الورد بن الكوثر ويظهر أن أهل دمشق قد استغلوا ذلك وخرجوا على السلطة العباسية مستغلين انشغال عبد الله بن علي بتلك الحركة.

وعلى ما يبدو فإن إقليم الشام عامة ودمشق خاصة ربط مصلحته في المعارضة بمختلف أشكالها، وذلك بعد خروج الخلافة منه وسقوط دوره السياسي، وهذا ما جعله ينخرط في أية حركة تعلن التمرد على الحكم الجديد... سواء أكانت لها بعداً جذرياً أم اقتصر على أهداف مرحلية محدودة، وقد أمل بني أمية من سياسة معارضتهم أن يعود لهم ذلك الاهتمام والدور الذي كانوا يقومون به في الفترة الأموية، وإن كنا نؤمن بأن التاريخ لا يعيد نفسه فننا ندرك أن الأحداث التاريخية قد تتشابه ولعل ما يشهده العالم الإسلامي في أيامنا الحالية خير دليل على ذلك.

المصادر والمراجع:

المصادر المطبوعة:

- الألبشهي، شهاب الدين محمد بن أحمد (ت ٨٥٢هـ - ١٤٤٨م)، المستطرف في كل مستطرف، تحقيق عبد الله الطباع، دار القلم، بيروت، ١٩٨١م.
- ابن الأثير، علي بن محمد الشيباني (ت ٦٣٠هـ - ١٢٣٣م)، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٨٢م.
- الأربلي، عبد الرحمن بن سنبط قنيتو (ت ٧١٧هـ - ١٣١٧م)، خلاصة الذهب المسبوك، وقف على طبعه وتصحيحه، مكي السيد جاسم، مكتبة المثنى، بغداد، (د. ت).
- الأزدي، يزيد بن محمد بن إياس (ت ٣٣٤هـ - ٩٤٥م)، تاريخ الموصل، تحقيق علي حبيبة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٧م.
- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسن (ت ٣٥٦هـ - ٩٧٦م)، الأغاني، طبعة مصورة عن دار الكتب، ٢٤ جزءاً، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت (د. ت). وطبعه دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان (د. ت).
- ابن أعمم الكوفي، محمد بن أحمد (ت ٣١٤هـ - ٩٢٦م)، الفتوح، ط ١، ٨ أجزاء، دار المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن ١٩٦٨م. وطبعة دار الأضواء، بيروت ١٩٩١م.
- البسوي، يعقوب بن سفيان (ت ٢٧٧هـ - ٨٩٠م)، المعرفة والتاريخ، تحقيق أكرم ضياء العمري، مطبعة الإرشاد، بغداد ١٩٧٤م.
- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ - ٨٩٢م)،
- أنساب الأشراف، القسم الثالث، العباس وولده، تحقيق، عبد العزيز الدوري، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٧٨م.
- والقسم الرابع بنو عبد شمس: تحقيق إحسان عباس، يطلب من دار النشر فرانكس شتاينر بفغيسبادن، بيروت، ١٩٧٩م.
- البلخي، أبو زيد أحمد بن سهل (ت ٣٢٢هـ - ٩٣٣م)، البدء والتاريخ، وضع حواشيه خليل عمران، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٧م.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ - ٨٦٨م)،
- البيان والتبيين، دار الكتب العلمية، بيروت (د. ت). وطبعة المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٣٣م.

- مجموعة رسائل أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، مطبعة التقدم، القاهرة ١٩٠٦م.
- ثلاث رسائل لأبي عثمان بن بحر الجاحظ، مطبعة بريل، لندن، ١٩٦٨م.
- الجهشيارى، محمد بن عبدوس (ت ٣٣١هـ-٩٤٢م)، الوزراء والكتاب، حققه ووضع فهارسه مصطفى السفا وإبراهيم الأبياري وعبد التحفيظ الشلبى، مطبعة البابى الحلبي، القاهرة، ١٩٣٨م.
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ-٢٠١م)، المنتظم في تاريخ الأمم، دار المعارف العثمانية، حيدر أباد- الهند ١٣٥٨هـ.
- ابن حزم، أبو محمد علي بن سعيد الأندلسي (ت ٤٥٦هـ-١٠٦٣م)، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٢م.
- الحسن بن عبد الله بن عمر (ت ٧٠٩هـ-١٣١٠م)، آثار الأول في ترتيب الدول، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٩٧٨م.
- الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت ٩٠٠هـ-١٤٩٣م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، ١٩٨٤م.
- الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد (ت ١٠٨٩هـ-١٦٧٩م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار المسيرة، بيروت ١٩٧٩م.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ-١٤٠٦م)،
- العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب المصري القاهرة ١٩٩٩م.
- مقدمة ابن خلدون، تحقيق علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر القاهرة (د. ت).
- ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ-١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٦٩م.
- خليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ-٨٥٤م)، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمري، ط ٢، دار القلم، دمشق ١٩٧٧م. وطبعة وزارة الثقافة، دمشق، تحقيق سهيل زكار ١٩٦٨م.
- الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت ٢٨٢هـ-٨٥٩م)، الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٦٠م.
- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ-١٣٤٧م)،

- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ٢٧ جزءاً، تحقيق عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٩م.
- سير أعلام النبلاء، ط ١، ٢٥ جزءاً، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه شعيب الأناؤوط، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٦م.
- العبر في خبر من غبر، تحقيق صلاح الدين المنجد، مكتبة التراث العربي، الكويت ١٩٦٠م، وطبعة دار الكتب العلمية تحقيق أبو هاجر محمد سعيد، بيروت ١٩٨٥م.
- ابن رسته، أبو علي أحمد بن عمران (ت ٢٩٠هـ-٩٠٢م)، الأعلام النفسية، باعتناء دي غوية، مطبعة بريل، لندن ١٨٩١م. نشر مكتبة المثنى ببغداد.
- الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق (ت ١٢٠٥هـ-١٧٩٠م)، تاج العروس في جواهر القاموس، المطبعة الخيرية، القاهرة ١٨٨٨م.
- الزبيرى، المصعب بن عبد الله (ت ٢٣٦هـ-٨٥٠م)، نسب قریش، عني بنشره ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة ١٩٥٦م.
- ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع (ت ٢٣٠هـ-٤٤م)، كتاب الطبقات الكبرى، ٩ أجزاء، دار صادر، بيروت (د. ت).
- السلمي، يوسف بن يحيى بن عبد العزيز (من علماء القرن ٧هـ- القرن ١٣م)، عقد الدرر في أخبار المنتظر، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، مكتبة عالم الفكر، القاهرة ١٩٧٩م.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق (ت ٩١١هـ-١٥٠٥م)،
- تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ١، بيروت، ١٩٥٢م.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ-١٣٦٢م)،
- أمراء دمشق في الإسلام، تحقيق صلاح الدين المنجد، المجمع العلمي العربي، دمشق ١٩٥٥م.
- تحفة ذوي الألباب فيمن حكم دمشق من الخلفاء والملوك والنواب، قسم ١، تحقيق إحسان خلوصي وزهير حمدان، وزارة الثقافة، دمشق ١٩٩١م.
- الوافي بالوفيات، بعناية هلموت ريتز، دار النشر فرانز شتاينر، فيسبادن، شتوتغارت ١٩٩١م.
- ابن طباطبا، محمد بن علي بن محمد (ت ٧٠٩هـ-١٣٠٩م)

- الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح، القاهرة ١٩٦٢م.
- الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ-٩٢٣م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت (د. ت).
- ابن طيفور، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر الخراساني (ت ٢٨٠هـ-٨٩٣م)، بغداد، عرّف الكتاب وترجم المؤلف محمد زاهد حسن الكوثري، عني بنشره وراجع أصله ووق عزت العطار، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٤٩م.
- ابن عبد البر (أبو عمر يوسف بن عبد البر النميري القرطبي)، (٣٦٨ - ٤٦٣هـ/ ٩٧٨ - ١٠٧٠م): بهجة المجالس وأنس المجالس وشذذ الذاهن والهاجس، تحقيق محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ابن العبري، غريغوريوس أبو الفرج هارون بن توما الملطبي (ت ٦٨٥هـ-١٢٨٦م) تاريخ مختصر الدول، تحقيق انطون صالحاني، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٥٨م.
- ابن العديم، عمر بن أحمد بن هبة الله (ت ٦٦٠هـ-١٢٦٢م)،
- بغية الطلب في تاريخ حلب، ١٢ جزءاً، حققه وقدم له سهيل زكار دمشق ١٩٨٨م.
- زبدة الحلب في تاريخ حلب، تحقيق سامي الدهان، دمشق ١٩٥١م.
- ابن عساكر، علي بن الحسين (ت ٥٧١هـ-١١٧٥م)، تاريخ دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من واردتها وأهلها، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت ١٩٩٥م.
- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر (ت ٨٥٢هـ-١٤٤٩م)،
- تهذيب التهذيب، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر أباد- الهند، ١٩٠٧م.
- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله (ت ٣٩٥هـ-١٠٠٤م) الأوائل، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧م.
- ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد (ت ٥٨٠هـ-١١٨٤م)، الأنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق وتقديم قاسم السامرائي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٧٣م.
- أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود (ت ٧٣٢هـ-١٣٣١م)،
- تقويم البلدان، تصحيح رينود، مالك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس ١٨٤٠م.

- المختصر في أخبار البشر المعروف بتاريخ أبي الفداء، ط ١، المطبعة الحسينية، القاهرة ١٩٤٠م.
- الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ - ٤١٤م)، القاموس المحيط، مكتبة النوري، دمشق (د. ت).
- ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ - ٨٨٩م)،
- عيون الأخبار، شرحه وعلق عليه مفيد محمد قمحية، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٨م.
- الإمامة والسياسة (منسوب له ومعروف بتاريخ الخلفاء)، تحقيق طه محمد الزيني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٩٦٩م.
- المعارف، تحقيق وتقديم ثروت عكاشة، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة ١٩٦٠م.
- ابن كثير، عماد الدين إسماعيل أبو الفداء بن عمر (ت ٧٧٤هـ - ١٣٧٢م)، البداية والنهاية، ط ٢، ١٤ جزءاً، مكتبة المعارف، بيروت ١٩٦٦م.
- الكندي، محمد بن يوسف يعقوب (ت ٣٥٥هـ - ٩٦٦م)،
- كتاب الولاة وكتاب القضاة، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت ١٩٠٨م.
- ولاة مصر، تحقيق حسين الفار، دار صادر، بيروت (د. ت).
- الماوردي، علي بن محمد (ت ٤٥٠هـ - ١٠٥٨م)،
- الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٥م.
- مجهول (القرن ٣هـ - القرن ٩م)، أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده، تحقيق عبد العزيز الدوري وعبد الجبار المطلبي، دار الطليعة، بيروت ١٩٧١م.
- مجهول (القرن ٣هـ - القرن ٩م)، العيون والحدائق في أخبار الحقائق، ج ٣ من خلافة الوليد بن عبد الملك إلى خلافة المعتصم، ويلييه مجلد من تجارب الأمم وفيه حوادث ١٩٨-٢٥١هـ. مكتبة المثنى، بغداد (د. ت).
- أبو المحاسن، جمال الدين يوسف بن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ - ١٤٦٩م)، النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية للطباعة والنشر (د. ت).
- المسعودي، علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ - ٩٥٧م)،
- التنبيه والإشراف، دار مكتبة الهلال، بيروت ١٩٨١م.

- مروج الذهب ومعادن الجواهر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت ١٩٧٣م.
- مسكويه، أحمد بن محمد بن يعقوب (ت ٤٢١هـ-١٠٣٠م)، تجارب الأمم، ج ٤، تحقيق وتقديم أبو القاسم إمامي، دار سروش للطباعة والنشر، طهران ١٩٩٧م.
- المقدسي، مطهر بن طاهر (ت ٥٠٧هـ-١١١٣م)، البدء والتاريخ، ٦ أجزاء، مكتبة الثقافة، مصر (د. ت) ومكتبة المثنى، بغداد (د. ت).
- المقرئزي، أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ-١٤٤١م)،
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (المعروف بالخطط المقرئزية)، مجلدان مطبعة بولاق ١٨٥٣م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ-١٣١١م)
- لسان العرب، ١٥ جزءاً، دار صادر، بيروت (د. ت) وطبعة ١٩٥٥، دار صادر، ٣ مجلدات.
- مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ٢٩ جزءاً، دار الفكر، دمشق ١٩٨٤م.
- ناصر خسرو، أبو معين الدين القبادياني المروزي (ت ٤٨١هـ-١٠٨٨م)، سفرنامه، ترجمة يحيى الخشاب، تصدير عبد الوهاب عزام، الهيئة المصرية العامة للكتاب (د. م) ١٩٩٣م.
- ابن النديم، محمد بن أبي يعقوب (ت ٣٨٠هـ-٩٩٠م)، الفهرست، تحقيق رضا تجدد، دانشگاه، طهران ١٩٧١م.
- ابن الوردي، سراج الدين عمر بن مظفر (ت ٧٤٩هـ-١٣٤٨م)،
- تنمة المختصر في تاريخ البشر، تاريخ ابن الوردي، تحقيق أحمد رفعت البدرائي، دار المعرفة، بيروت ١٩٧٠م.
- جريدة العجائب وفريدة الغرائب، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٣٩م
- وكيع، محمد بن خلف بن حيان (ت ٣٠٦هـ-٩١٨م)، أخبار القضاة، ٣ أجزاء، عالم الكتب، بيروت (د. ت).
- الياقعي، عفيف الدين أبو السعادات عبد الله بن أسعد (ت ٧٦٨هـ-١٣٦٥م)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد، ١٩١٨م.

- ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٢٢٦هـ - ١٢٢٨م)،
- إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (المعروف بمعجم الأدباء)، دار صادر، بيروت ١٩٥٦م.
- معجم البلدان، دار صادر، بيروت ١٩٨٦م..
- اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت بعد ٢٩٢هـ - بعد ٩٠٥م)،
- البلدان، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٥٧م.
- تاريخ اليعقوبي، جزءان، دار صادر، بيروت ١٩٦٠م.
- أبو يعلى، محمد بن الحسين الحنبلي (ت ٤٥٨هـ - ١٠٦٥)، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، صححه وعلق عليه محمد حامد الفقي، شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة ١٩٦٣م.
- أبو يوسف: يعقوب بن إبراهيم (ت ١٨٢هـ - ٧٩٨م)،
- كتاب الخراج، المطبعة السلفية، القاهرة ١٩٢٧م، مطبعة دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت (د. ت).
- المراجع الحديثة:
- إحسان عباس، تاريخ بلاد الشام في العصر العباسي، منشورات لجنة تاريخ بلاد الشام، مطبعة الجامعة الأردنية، عمان ١٩٩٢م.
- أحمد الرفاعي، عصر المأمون، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٢٨م.
- أحمد شلبي:
- تاريخ التربية الإسلامية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٦٠م.
- التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة العربية، القاهرة.
- أمينة البيطار، الحياة السياسية وأهم مظاهر الحضارة في بلاد الشام، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق ١٩٨٠م.
- الثعالبي (عبد العزيز): سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية، تحقيق حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط ١، ١٩٩٥م،
- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦٩م.

- جمال جودة، الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للموالي في صدر الإسلام، دار النشر، عمان ١٩٨٩م.
- الجومرد، عبد الجبار، هارون الرشيد (د. ن) بيروت ١٩٥٦م.
- خالد الجنابي، تنظيمات الجيش العربي الإسلامي في العصر الإسلامي، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد ١٩٨٤م.
- الخضري، محمد، تاريخ الأمم الإسلامية، الدولة العباسية، ط٩، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة ١٩٥٩م.
- الدوري، عبد العزيز:
- دراسات في العصور العباسية المتأخرة، مطبعة السريان، بغداد ١٩٤٥م.
- العصر العباسي الأول، دار الطليعة، بيروت ١٩٨٨م.
- شاكِر مصطفى، دولة بني العباس، جزءان، ط١، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧١م.
- عبد الحليم عويس، بنو أمية بين الضربات الخارجية والانهيار الداخلي، دار الصحوة للنشر، القاهرة ١٩٨٧م.
- عفيف البهنسي: الشام والحضارة، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد، دمشق ١٩٨٦م.
- علي (أحمد): العهد السري للدعوة العباسية أو من الأمويين إلى العباسيين، مكتبة الفارابي، بيروت، ١٩٨٧م، ص ٦٥-١٠٦.
- فاروق عمر:
- بحوث في التاريخ العباسي، بيروت ١٩٧٧م.
- الخليفة المقاتل مروان بن محمد، دار واسط للنشر والتوزيع.
- العباسيون الأوائل، دار الفكر، بيروت ١٩٧٣م.
- فان فلوطن، السيادة العربية، مطبعة السعادة، القاهرة ١٩٣٤م.
- فلهاوزن يوليوس، تاريخ الدولة العربية ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، نقله عن الألمانية وعلق عليه محمد عبد الهادي أبو ريّدة، راجع الترجمة حسين مؤنس، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٥٨

- كرد علي، محمد:
- الإسلام والحضارة العربية (د. ن)، القاهرة ١٩٦٨م.
- خطط الشام، مكتبة النوري، دمشق ١٩٨٣م
- كلود كاهن، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة بدر الدين قاسم، دار الحقيقة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٧٢م.
- محمد طلس: تاريخ الأمة العربية: عصر الازدهار، تاريخ الدولة العباسية منذ عهد أبي العباس السفاح إلى نهاية عهد المعتصم بالله ١٣٢-٢٣٢هـ، دار الأندلس، بيروت د. ت.
- محمد عثمان، المدينة الإسلامية، سلسلة كتب عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عدد ١٢٨، ١٩٨٨م.
- نجدة خماش:
- الإدارة في العصر الأموي، دار الفكر، دمشق ١٩٨٠م.
- الشام في صدر الإسلام، (د. ن) دمشق ١٩٨٧م.
- هاملتون جب، دراسات في حضارة الإسلام، ترجمة إحسان عباس ورفاقه، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦٤م.
- يوسف العش، تاريخ عصر الخلافة العباسية، دار الفكر، دمشق ١٩٨٢م.
- المراجع الأجنبية:

- Kennedy, Hugh: The Early Abbasid Caliphate, croom Helm, London, Sydney, 1981..
- Paul M. cobb, white Banners contention in Abbasid Syria, 750-880, state university of NewYork Press, 2001.

الدوريات:

- جوزي بندلي، السفينائي، مجلة المقتطف (القاهرة) مج ٨٣، ج ١ ص ٣٧-٥٣، ١٩٣٣م.
- نبيه عاقل، دمشق من الفتح حتى العصر العباسي، مجلة التراث، العددان ٥٥، ٥٦، ١٩٩٤م.
- المؤتمرات والندوات:
- أحمد بدر، فقهاء الشام في العصر العباسي وعلاقتهم بالخلفاء العباسيين، محاضرة في المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية ١٩٩٠م.
- محمد خريسات، التوسع العمراني في دمشق حتى أواخر الحكم الفاطمي لبلاد الشام، المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية، عمان ١٩٩٠م.